

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

شعبة الدراسات البلاغية والنقدية

بين أصالة التراث والمعاصرة

علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة والنقد

أبو عبد الله محمد بن عبد الله

أبو عبد الله محمد بن عبد الله

أبو عبد الله محمد بن عبد الله

عبد خليفة

أبو عبد الله محمد بن عبد الله

أستاذ التعليم العالي رئيسا
أستاذ التعليم العالي مشرفا ومقررا جامعة تلمسان
أستاذ التعليم العالي عضوا مناقشا جامعة تلمسان
أستاذ التعليم العالي عضوا مناقشا جامعة تلمسان
أستاذ محاضر (أ) عضوا مناقشا جامعة سيدي بلعباس

عبد الجليل مرتاض
الدكتور: محمد عباس
الدكتور: خير الدين سيب
الدكتور: عبد الجليل مصطفى
الدكتور: مذبوح محمد

السنة الجامعية: 1430هـ - 1431هـ

2009م - 2010م

الإهداء

الإهداء

إلى أبي _ بارك الله في عمره _ الذي زين لي العلم وحببه إلى قلبي صغيرا .

إلى أمي _ بارك الله في عمرها _ التي لا تفارقني دعواتها .

إلى زوجتي وبناتي : هاجر ، و آية و أميمة وإسراء ، وإخوتي وأخواتي : عبد الكريم

و عبد الباسط و مديحة و حبيبة. الذين ضحوا بالكثير من حقوقهم لأجلي، ليخرج هذا البحث إلى النور .

إلى أخويّ وصديقيّ : البشير عيدات، والمبروك عبود اللذين شجعاني كثيرا، بل دفعاني

دفعاً إلى إتمام هذا البحث .

إلى عائلتي الطيبة أدام الله أفراحها .

إلى كل من بذل جهدا وعمرأ في سبيل خدمة لغة الضاد .

إلى كل هؤلاء ... والذين لم يأت عليهم الذكر؛ أهدي هذا العمل تقديرا

وامتنانا وعرفانا .

عبود خليفة

ما الفضلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
وَقَدَرُ كُلِّ امْرِيٍّ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
وَضِدُّ كُلِّ امْرِيٍّ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلَا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا

عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَلِلرِّجَالِ عَلَى الْأَفْعَالِ أَسْمَاءُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾

الآية 06 من سورة النمل .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين و الصلاة و السلام على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله و صحبه أجمعين وبعد:

فقد ساد الإسلام و سادت معه لغة العرب ،لغة القرآن و لغة الدين، و لغة السادة الفاتحين. وانضوى تحت لواء الإسلام تعداد كثير من العباد الذين دانوا بالدين الإسلامي من فرس و روم وقبط، وترك، و غيرهم.وقد أدى هذا التداخل من الجنسيات المختلفة إلى تفشي اللحن فخاف العرب من تغيير لسانهم وعدم قدرتهم على فهم القرآن،وهكذا كان الخوف على القرآن والإسلام أحد الأسباب الرئيسة في النهوض لوضع علم النحو العربي. إلا أن انقسام أئمة النحو نظرا لخلاف وجهات النظر بدأ يحد من تطوره. وفتح باب الاجتهاد للآراء الجديدة التي تخالف ما جاء به أصحاب المدرستين البصرية و الكوفية. فظهر اتجاه جديد مع أبي علي الفارسي و ابن جني يبحث عن الأصول العامة للنحو، و علاقة معاني الكلام بالأصوات. وتابع عبد القاهر الجرجاني بعد ذلك الطريق في اكتشاف النظام العام للغة فأكد على المهمة الوظيفية للغة، وهي مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية تسمى مرحلة الدراسة الوظيفية مع ظهور كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

أما من جانب البلاغة فقد كان الضعف قد بدأ يدب في أوصال اللغة العربية حيث كان الوقوف عند ظواهر قوانين النحو و مدلول الألفاظ المفردة و الجمل المركبة،والانصراف عن معاني الأساليب، فوضع عبد القاهر الجرجاني كتابه: دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة ليكونا بداية مرحلة جديدة هي فهم البلاغة العربية.

ولما كان عبد القاهر الجرجاني أحد الذين وقفوا أقلامهم على التصدي للجمود الذي ساد بيئة المسلمين في تفسير أوجه الإعجاز القرآني و توضيح علاقة البلاغة بالنحو. كان عنوان بحثي موسوماً بـ"علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني". رغم أن دراسة

علم كعبد القاهر الجرجاني لم تعد كشفاً جديداً في الأدب فقد أرخ جمهرة من العلماء لحياته، و بحث كثير من الأدباء في آثاره، و توقفوا ما شاء لهم التوقف عند مؤلفاته، و أجمعوا - قدماء و محدثين - على أنه رافع قواعد البلاغة و باني أحكامها، وأحد أئمة العربية و النحو و الكلام. إلا أن قناعتي كانت في أن الباحث لا يعدم أن يجد جوانب و زوايا لم تلق عليها الأضواء بما تستحقه مكانة عبد القاهر الجرجاني.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع من موضوعات عديدة كان قد وجهنا إليها الأستاذ الفاضل المشرف الدكتور محمد عباس جزاه الله خيراً . ولم يكن في الحقيقة اختياري لهذا الموضوع من باب الصدفة أو المصادقة ، وإنما كان وليد اهتمام سابق بهذا المجال، فقد استهوتني الدراسات النحوية و البلاغية منذ أن انتسبت إلى دراسة اللغة العربية وآدابها بجامعة تلمسان ، كما رأيت كثيراً من الباحثين يغفلون ذكر عبد القاهر الجرجاني مع علماء النحو لاشتهاره بعلم البلاغة مع أنه كان نحويًا قبل أن يكون بلاغيًا ، وخاصة أنه يرى النحو و البلاغة عنصران مترابطان و ضروريان لفهم اللغة، و أن دارس البلاغة لا بد له من التعمق في علم النحو . و الحق أنها استرعت اهتمامي منذ أن ألقيت علي أول الدروس فيها ، ومنذ أن عرفت عبد القاهر الجرجاني الرجل الأملعي المتفرد بغزارة علمه ، وسلامة ذوقه.

وقد ابتغيت من هذا البحث الكشف عن:

- أثر الإعجاز القرآني في نضج الدراسات اللغوية و البلاغية.
- أسباب نشوء علم النحو.
- البلاغة العربية و تطورها.
- الكشف عن مدى ارتباط علم البلاغة بعلم النحو عند عبد القاهر الجرجاني .
- معرفة سر نظرية النظم و توحي معاني النحو.

أما عن خطة البحث فجعلتها كما يأتي:

مقدمة ومدخل و ثلاثة فصول و خاتمة.

ففي المدخل تحدثت عن الإعجاز القرآني و أثره في نشأة الدراسات اللغوية، بما يمثل مضمونا نظريا لهذا البحث. وقد أشرت فيه إلى تعريف القرآن لغة واصطلاحا ، وتعرضت إلى أوجه الإعجاز القرآني. مناقشاً آراء القائلين بالصرفه مثبتاً بطلانها . دون أن أهمل دورها في نشأة الدراسات القرآنية والدراسات البلاغية.

أما الفصل الأول: فقد تعرضت في القسم الأول منه لنشأة الدرس النحوي عند العرب، وبيّنت حال لغة العرب قبل وضع النحو وامتلاك العرب لها سليقة وجبلة، مشيراً إلى دور القرآن الكريم في نشأة العلوم اللغوية كما يرى معظم الدارسين، فتناولت الروايات المختلفة والمتباينة في نشأة النحو، فمرة ينسب النحو إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، ومرة أخرى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه... وهكذا ، وهي روايات دفعت بعض المحدثين والمستشرقين إلى التشكيك والطعن في أصالة النحو العربي. ثم انتقلت إلى أشهر المدارس النحوية:

- المدرسة البصرية ومنهجها الذي يعتمد على الشواهد الموثوق بها والاعتداد بالعقل والمنطق.
- مدرسة الكوفة ومنهجها الذي يحترم كل شاذ ويبيح القياس عليه ولو خالف القواعد العامة التي وصل إليها أصحابها.
- مدرسة بغداد التي يقوم منهجها على أساس الجمع والتوفيق والمزج بين آراء المدرستين (الكوفية والبصرية).

ثم انتقلت في القسم الثاني إلى نشأة الدرس البلاغي عند العرب وتعرضت إلى تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً، مشيراً إلى الفريقين المختلفين في اصطلاح البلاغة. فالمتقدمون كالإمام الجرجاني ومن سار على نهجه يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات. وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي معاني النحو.

أما المتأخرون فيخرجون الفصاحة من كنف البلاغة فلكل منها مجاله الخاص، ويجعلون فصاحة اللفظ لا تتحقق إلا بسلامتها من أربعة عيوب: (تنافر الحروف، غرابة اللفظ، مخالفة القياس، الكراهة في السمع). وفصاحة الكلام أو التركيب تقتضي خلوصه وسلامته من أربعة أمور هي: (ضعف التأليف، تنافر الكلمات، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي). وأتبع ذلك بعوامل نشأة البلاغة العربية المتمثلة في الشعر والقرآن الكريم، وتعقيد اللغة. لأصل إلى أن بذور البلاغة وجدت في العصر الجاهلي، ونماها الإسلام بالبحث والجدل حول القرآن وإعجازه، وتذوق بلاغته.

أما في الفصل الثاني : فحاولت الكشف عن الدرس النحوي عند عبد القاهر الجرجاني فتعرضت إلى حدود النحو وتعريفه، والتشكيل الأساسي للجملة في اللغة العربية الذي لا يخرج عن حدود جملة المبتدأ والخبر، وجملة الفعل والفاعل. ثم تعرضت إلى التشكيل الأساسي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني فبدأته بنبذة عن حياة عبد القاهر الجرجاني، ثم تطرقت إلى مفهوم النحو عند عبد القاهر الجرجاني وكيف أبي أن ينساق مع نظرة النحاة الخاطئة للنحو، ويربط الدراسة النحوية واللغوية بعامل النظم، ويربط عامل النظم بالعامل النفسي في عملية إنتاج الكلام. وبذلك أعاد للغة مكانتها وبيّن قدراتها العجيبة على تأدية المعاني المرادة بواسطة الصياغة الفنية الحقة. أما الجملة عنده فلا تخرج عن نطاق جملة المبتدأ والخبر وجملة الفعل والفاعل، والكلام لا يخرج عن الإثبات والنفي والاستفهام.

أما التشكيل الفرعي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني فلا يخرج عن نطاق التقديم والتأخير الذي لا يحصل ارتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داع فني أو بعد نفسي. والحذف الذي يعده ظاهرة اجتماعية كثيرة الاستعمال عند العرب، لأنها تعبر عن أغراضهم ومدى تفننهم في استخدام اللغة لتكون رائعة متجاوزة حدود التواصل، فالحذف له مزايا لا يدركها إلا من تدرس اللغة وامتلك ناصيتها واستطاع أن يقف على مواطن الحذف ليكتشف أن أسباب الحسن والمزية في الحذف بدل الذكر.

لأصل إلى أن عبد القاهر لا يفصل بين النحو والبلاغة بل يجعل النحو في خدمة البلاغة مخالفاً بذلك سنن السابقين في نظرهم إلى النحو.

أما الفصل الثالث: فجعلته لدراسة الدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني وتعرضت لقضية اللفظ والمعنى قبل عبد القاهر الجرجاني. وبخاصة عند (الجاحظ، ابن قتيبة، ابن طباطبا، أبو هلال العسكري ابن رشيق القيرواني) الذين كانت معالجتهم لهذه القضية مبنية على أساس الفصل بين اللفظ والمعنى. فتطرقت إلى رد عبد القاهر الجرجاني الذي شعر بالخطر المحدق بالبلاغة ومستقبلها نتيجة تعصب الطوائف المختلفة لآرائها من أنصار اللفظ وأنصار المعنى. الأمر الذي رفضه عبد القاهر وقدم نظريته القائمة على الأسس العلمية، والحجج الدامغة فرد بذلك على أنصار اللفظ وأنصار المعنى ليقر بمناصرة النظم. ثم انتقلت إلى فكرة النظم عند سابقيه فعرفت النظم لغة واصطلاحاً، والصلة بين التعريفين، ثم عرضت للجذور التاريخية لنظرية النظم، وتوقفت عند النظم لدى كل من الرماني والخطابي و الباقلاني والقاضي عبد الجبار، فوضحت مفهومه عندهم لما لآرائهم من أثر في إخراج هذه النظرية بصورتها التي استوت عليها مع الإمام عبد القاهر. ثم توقفت طويلاً مع عبد القاهر ونظريته التي هي خلاصة آرائه اللغوية والبلاغية التي تعد من أدق مقاييس النقد والبلاغة في أدبنا العربي، مشيراً إلى أسسها (النظم، الترتيب، الموقع، التعليق، الصياغة) منتهاياً إلى أن عبد القاهر تأثر بمن سبقه من العلماء، واستطاع بحسه الصادق، وذوقه المرفه أن يوضح بالشواهد العديدة وتحليلها، أن المزية لا تعود إلى الألفاظ المجردة، ولا إلى المعاني العامة، أو المعاني اللغوية للألفاظ، وإنما إلى النظم الذي هو توخي معاني النحو.

أما الخاتمة فتضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج بعد هذه الرحلة المتعبة والشاقة في آن واحد.

وقد اعتمدت لهذه الخطة المنهج التاريخي عندما أرّخت لنشأة البلاغة والنحو العربي، وترجمت لعبد القاهر الجرجاني، كما اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع آراء العلماء السابقين لعبد القاهر الجرجاني وحصر آرائهم وآراء عبد القاهر الجرجاني وتحليلها.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر كدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني التي تبقى معينا لا ينضب للقراء والباحثين في مجال اللغة والأدب، إضافة إلى مراجع رافقتني طوال البحث منها : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً للدكتور أحمد علي دهمان، والأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني للدكتور محمد عباس، والتفكير البلاغي عند العرب " أسسه وتطوره إلى القرن السادس " لحمادي صمود، وكتاب التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني للدكتور صالح بلعيد ، فكل الشكر والعرفان.

وقبل كل هذا وذاك أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف والأب الروحي لي وللبحث الأستاذ الدكتور محمد عباس صاحب المشروع الذي فتح لي باب الدراسات البلاغية والنقدية على مصراعيه، وعلى مساعدته المتواصلة، وتفضله بالإشراف علي، ونصحه و توجيهه طوال فترة البحث والإعداد والإخراج، فجزاه الله أفضل الجزاء وأدامه لي عوناً في البحوث المقبلة إن شاء الله. كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الذين كانوا لنا المعلمين و الموجهين و الناصحين طوال دراستنا النظرية والتطبيقية. فلهم الشكر والتقدير والامتنان.

وإني لا أنسى رفقاء الدرب كلا باسمه، و كلّ من شجع ولو بكلمة طيبة.
فإن أحسنت فبحمد الله و توفيق منه ، وإن أسأت فمن نفسي و اجتهادي.
والله من وراء القصد.

تلمسان يوم: السبت 08 جمادى الثانية 1431هـ

الموافق ل: 22 ماي 2010م

عبد خليفة

المدخل

في الإعجاز القرآني

- لفظ القرآن في عرف اللغة.
- القرآن الكريم في الاصطلاح.
- الإعجاز القرآني.
- معنى الصرفة لغة واصطلاحاً.

لفظ قرآن في عرف اللغة:

لعلماء المسلمين في تحقيق لفظ "قرآن" في اللغة أقوال:

فالمروى عن الشافعي (204هـ) وبه قال جماعة: "إنه اسم علم غير مشتق خاص بهذا الكلام المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم وهو معرف غير مهموز عنده كما حكاه عن البيهقي (458هـ) والخطيب وغيرهما.

والمنقول عن الأشعري (330هـ) وأقوام: أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا أضمرته إليه وسمي به

عندهم لقرآن السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض".1

وقال الفراء (207هـ): "هو مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضا، ويشبه بعضها

بعضا، وهو على هذين القولين بلا همز أيضا و نون أصلية".2

وقال الزجاج (311هـ): "هذا القول سهو والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل

حركة الهمز إلى الساكن قبلها".3

واختلف القائلون بأنه مهموز : فقال منهم اللحياني : " هو مصدر لقراءات كالرجحان والغفران، سمي

به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر".4

و قال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فعالن مشتق من القراء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في

الحوض أي جمعته. قال أبو عبيدة: وسمي بذلك، لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.

وقال الراغب الأصفهاني: لا يقال لكل جمع قرآن، ولا لجمع كل كلام قرآن ، قال و إنما سمي قرآنا

لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة، و قيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

وحكى قطرب (206هـ) قولا : " إنه إنما سمي قرآنا ، لأن القارئ يظهره و يبينه من فيه آخذا

1- د/عبد العزيز معطي عرفة " قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية " عالم الكتب، بيروت ط1985 ص122.

2- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي "روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " دار التراث العربي ، بيروت لبنان، ج1، ص11.

3- عبد العزيز معطي عرفة " قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية " ص.23

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من قول العرب: ما قرأت الناقة سلى قط، أي ما حملت ملقوحاً، وقال اللحياني: معناه ما طرحت ، وقرأت الناقة ولدت . وقرأت الناقة والشاة : واستقر الماء و ما أسقطت ولداً أي : ما حملت قط ، والقرآن يلفظه القارئ من فيه و يلقيه فسمي قرآناً¹

وجاء أيضاً في لسان العرب : " قرأ : القرآن : التنزيل العزيز ، و إنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه، قرأه، يقرؤه ، يقرؤه ، الأخيرة عن الزجاج قرأاً وقراءة وقرآناً ، الأولى عن اللحياني فهو مقروء ، أبو اسحاق النحوي يسمي كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتاباً وقرآناً وفرقنا ومعنى القرآن معنى الجمع ، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور ، فيضمها وقوله تعالى : " إن علينا جمعه وقرآنه " أي جمعه و قراءته، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، أي قراءته.

وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه قولهم : ما قرأت الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا قط أي لم يضطم رحمها على ولد .

وفيه قول آخر: قرأت القرآن : لفظت به مجموعاً أي ألقيته، وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين و كان يقول : القرآن اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل ، ويهمز قرأت ولا يهمز قرآن².

وقد تأثر أحد الباحثين ببحوث المستشرقين في اللغة العربية فذكر أن العرب قد عرفوا لفظ " قرأ " بمعنى غير معنى التلاوة. أما (قرأ) بمعنى (تلا) فقد أخذها العرب من أصل آرامي و تداولوها . ثم يقول: ومهما يكن من شيء، فإن تداول العرب قبل الإسلام للفظ (قرأ) الآرامي الأصل بمعنى تلا كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له في تسمية كتابه الكريم³.

ومن كل ما سبق يتضح اختلاف الباحثين في تحقيق لفظ (قرآن) "فالسبوطي مثلاً اختار رأي الإمام الشافعي ، و رأى اللحياني ومن معه أن لفظ (قرآن) في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه

1- السبوطي " الإتقان في علوم القرآن " تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1985 م، ج1، ص.50

2- ابن منظور "لسان العرب" المجلد 12، دار صادر بيروت ، ط3، 2004 م ، ص50_51.

3- د/ صبحي الصالح "مباحث في علوم القرآن" دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط 14 يناير 1982 م ، ص20.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ﴿١٧٩﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨٠﴾ 1. ثم نقل

من هذا المعنى المصدرى، وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام من باب إطلاق المصدر على مفعوله، وهو المختار استنادا إلى موارد اللغة، و قوانين الاشتقاق. 2.

القرآن الكريم في الاصطلاح:

اختلف العلماء والمفسرون في جواز تعريفه، "لأن التعريفات لا تكون إلا للكليات، ومنهم من أجاز وهم الفقهاء" 3، و منهم من عرفه لتقريب معناه فحسب ، وعلى أية حال فقد قالوا في تعريفه: "هو كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته" 4.

و" تعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين و الفقهاء و علماء العربية و يشاركهم فيه المتكلمون أيضا " 5 . (فالكلام) جنس شامل لكل كلام ، و إضافته إلى الله تميزه عن كلام من سواه من الإنس و الجن و الملائكة.

"(والمنزل) مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته، ليعلموا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾ 6. وقال أيضا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ

1- الآية 17-18 من سورة القيامة.

2- د/عبد العزيز معطي عرفة " قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية" ص25.

3- محمد عبد العظيم الزرقاني " مناهل العرفان في علوم القرآن " نشر وطبع الحلي ، مصر ، ط2، 1963م، ج 1 ، ص 14-15.

4- محمد عبد الله دراز " النبأ العظيم " نظرات جديدة في القرآن ، دار القلم ، الكويت ، ط4، 1977 ، ص9.

5- الزرقاني " مناهل العرفان " ج1 ، ص12.

6- الآية 109 من سورة الكهف.

مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْهَارٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنْ

اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ . 1 . ويقيد المنزل بكونه على (محمد) لإخراج ما أنزل على الأنبياء من

قبله ، كالتوراة المنزلة على موسى ، والإنجيل المنزل على عيسى ، والزبور المنزل على داود ،
والصحف المنزلة على إبراهيم عليهم السلام . وخرج (بالمنقول بالتواتر) جميع ما سوى القرآن من
منسوخ التلاوة ، والقراءات غير المتواترة سواء كانت مشهورة نحو قراءة ابن مسعود
(متتابعات) عقب قوله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ
الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ
يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ . 2 . أم كانت آحادية كقراءة ابن مسعود أيضا لفظ (متتابعات) عقب قوله

سبحانه وتعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۚ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

1— الآية 27 من سورة لقمان.

2— الآية 89 من سورة المائدة.

تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ 1 ، فإن شيئاً من ذلك لا يسمى قرآناً ولا يأخذ حكمه.

وقيد (المتعبد بتلاوته) أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك . كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد ، وكالأحاديث القدسية ، وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا: إنها منزلة من عند الله بألفاظها" 2.

الإعجاز القرآني:

اختص الله سبحانه و تعالى - جزيرة العرب بالعديد من الديانات و اختص العرب بتلقي ديانات الأنبياء السابقين- فكان فيهم نوح عليه السلام، وكان فيهم كذلك إدريس، وصالح ، وشعيب وهود و إبراهيم وإسماعيل ، فكانت الجزيرة العربية مهدا للرسالات السماوية ، وكان أنبياء الله منها، و بعثوا لهداية أقوامهم في هذه البلاد.

"كان العرب قبل البعثة الحمديّة ، يتسمون بالبداءة ، وقلة الحضارة ، فأكثر العرب -في بدوهم وحضرهم - كانوا يمتازون بالنزوع إلى الكلام الطيب ، وكانت سيادة الأمية فيهم سببا في أن أرهفوا كلمات لغتهم، وأسلوب خطابهم، وملاحظة جرس الكلمات، وموسيقى العبارات، وانسجام الحروف، ومؤاخاة المعاني للألفاظ ،حتى إن النطق يدل على المعنى، وفي مترادف الكلمات ما يدل على أن المعاني كانت ملاحظة في كل لفظ، وأن النطق كان متلاقيا مع المعنى، فهما متساوقان، المعنى ملاحظ في النطق، والنطق لا بس للمعنى، وكلاهما يحيط بصاحبه و يؤاخيّه، و لا ينفصل عنه" 3. أما عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في نهضة لغوية شاملة. فيهم نوابغ الشعراء ، ومصارع الخطباء ، ولهم كما يقول الجاحظ : " القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، و القصار الموجزة ، ولهم الأسجاع والمزدوج و اللفظ المنشور ، وكانوا

1- سورة البقرة ص 185

2- محمد عبد الله دراز "النبا العظيم" ص 109 .

3- د/أحمد جمال العمري " المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني " نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري ، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة 1990م، ص 15.

يتنافسون على الفصاحة والبلاغة والذلاقة ، ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم " 1 . والقرآن نفسه يعترف بلددهم ، وشدة خصومتهم ، فقال عنهم : ﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ 2.

وقال محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ 3. ولكنهم وقفوا مشدوهين في حيرة من أمر هذا الكتاب فقد وجدوا له في أنفسهم تأثيرا بالغا، لا يجدونه لغيره من ألوان الكلام ، فنسبوه حيناً إلى السحر، وحيناً آخر إلى الشعر: ﴿ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ 4. ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ 5. ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ 6. وحيناً مضوا بعد أن سمعوا القرآن يقولون قول العاجز المحنق، يخفي عن الناس عجزاً لا يستطيع هذا القول أن يستره: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا ﴾

1- الباقلائي "إعجاز القرآن " تحقيق :أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1971م، ص26.

2- الآية 58 من سورة الزخرف.

3- الآية 97 من سورة مريم.

4- الآية 24 من سورة المدثر.

5- الآية 05 من سورة الأنبياء.

6- الآية 36 من سورة القصص.

قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾

، "وحينا أخذوا يوهمون الناس أن ليس في هذا القرآن ما يستحق المعارضة".2، ثم يفضح الله حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم على أن كانت معجزته القرآن فيقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا

لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ 3. وعندما أدرك القوم تأثير القرآن في القلوب، وسلطانه على النفوس، وخشوا أن يفتنهم عما وجدوا عليه آباءهم تواصلوا بألا يسمعوا له، وألا يدعوا لأحد مجالا للاستماع إليه، فقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٤﴾ 4. غير أنهم لم يستطيعوا أن يبطلوا تأثيره فالتجأوا إلى السيف فكان التجاؤهم إلى السيف الحجة القاطعة على عجزهم عن معارضة القرآن ومجاراته.

أما السبب الذي من أجله عجز العرب عن الجيء بمثل القرآن ، فللعلماء فيه مذاهب : قال النظام : " إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل كسائر الكتب المنزلة ، لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك "5. وهذا هو المذهب المعروف بمذهب الصرفة .

1— الآية 31 من سورة الأنفال.

2— أحمد أحمد بدوي " من بلاغة القرآن " نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 44.

3— الآية 31 من سورة الزخرف.

4— الآية 26 من سورة فصلت.

5— نقلا عن المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني لأحمد جمال العمري ص:28.

معنى الصرف لغة واصطلاحاً :

الصرف لغة: "رد الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً فانصرف . وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾¹ صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون² أي رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وقيل انصرفوا عن العمل لشيء مما سمعوا (وصرف الله قلوبهم) أي أضلهم الله مجازاة على فعلهم؛ وصرفت الرجل عني فانصرف والصرف : أن تصرف إنساناً عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك . وتصريف الرياح : تحويلها من وجه إلى وجه ، ومن حال إلى حال ، وكذلك تصريف السيول والخيول والأمور والآيات . والصرفة أيضاً: أن تحلب الناقة غدوة فتتركها إلى مثلها من أمس " 2.

أما في اصطلاح المتكلمين القائلين بما فتعني: "أن أمراً إلهياً خارقاً أجراه الله تعالى على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دليلاً على صدقه في دعوى النبوة ، وهو أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن في تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله ولو لم يصرفهم لجاءوا بمثله .

وبمقارنة هذا التعريف للصرفة بتعريفها في اللغة نجد تطابقاً بين المعنيين؛ إذ كلاهما يعني التحول والانصراف من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال " 3.

وقول أهل الصرفة يحتمل تفسيرات ثلاثة؛ لما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال كما يقول ابن حمزة العلوي:

أولها: أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع توفر أسبابها لهم .

ثانيها : أنه تعالى سلبهم العلوم التي لا بد منها لتتم هذه المعارضة ، وهذا السلب يمكن حمله

1- الآية 127 من سورة التوبة .

2- ابن منظور "لسان العرب" دار صادر بيروت المجلد الثامن ، الطبعة ، ط3 ، 2004م ص228 ، 229.

3- أحمد سيد محمد عمار " نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم " دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ، 1998م ، ص34.

على أمرين: إما أن تلك العلوم كانت حاصلة لهم عن جهة الاستمرار فأزالها الله عن أفئدتهم ومحاهها، وإما أن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم ، ولكن الله صرف دواعيهم عن تجديدها مخافة أن تحصل المعارضة .

ثالثها : أن يراد بالصرف أن الله منعهم من المعارضة على جهة القسر ، مع كونهم قادرين عليها ، وسلب قواهم عن ذلك ؛ فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة . وحاصل الأمر : أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن ، إلا أن الله تعالى منعهم بما سبق ذكره "1.

حيث يقول النظام : "الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدروا عليه العباد ، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"2. إن مقولة النظام ثبتت أول نبت في رواق الفلسفة الكلامية، فالنظام أول من جاهر بها وأعلنها ودعا إليها ، ولاحي عنها كأنها مسألة من مسائل علم الكلام .وقد عاب الجاحظ رأي أستاذه

وقال: "إنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه، وجودة قياسه على العارض والخطر ، والسابق الذي لا يوثق بمثله ، فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل ، الذي قاس عليه، كان أمره على الخلاف ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه ، وينسى أن بدء أمره كان ظنا ، فإذا أتقن ذلك ، وأيقن، جزم عليه، وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ، ولكنه كان لا يقول :سمعت ولا رأيت وكأن كلامه خرج مخرج الشهادة القاطعة ، فلم يشك السامع أنه إنما حكاه عن سماع قد امتحنه ، وعن معاينة قد بهرته "3.

ومن هذا النص يتضح أن الجاحظ لا يوافق شيخه "وإذا كان إبراهيم النظام قد اشتهر بالبيان وسرعة الجواب ،ولسن القول ، فقد اشتهر الجاحظ بأنه ذواق الكلام ،وصيرفي

1- ابن حمزة العلوي " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز"تدقيق: جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1980م، ج3 ، ص391.

2- أبو الحسن الأشعري " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " عني بتصحيحه هلموت ريتز ، دار النشر فرائر ستايز بقيسبادن ط3 ، 1980م، ج1 ، ص225.

3- الجاحظ " الحيوان " تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1996م، ج3 ، ص230.

البيان، فإن خالف من يتسرع في الخبر، ويبيّن عليه ، فهي مخالفة الخبير العارف بتصريف القول، وأفانين التعبير والتفكير ولم يكن رد الجاحظ على شيخه رد المجادل ، ولكنه بالعمل... فقد كان أول من كتب عن إعجاز القرآن من الناحية البيانية ، ليكون الرد على الصرفة بيان الإعجاز الذاتي "1. بيد أن رأي النظام هذا - كان مخالفا لطبيعة الأمور- في نظر العلماء من أهل السنة، بل لقد خالفه المعتزلة أنفسهم ، وعارضوه ، وأقاموا من أنفسهم دعاة لإعجاز القرآن البياني ، وكان أكثرهم يرى الإعجاز في البلاغة والنظم والفصاحة .

وقد تصدى جمهور علماء المسلمين (معتزلة وسنة) للقول بالصرفة ودفعوه ، وكشفوا جوانب الخطأ فيه . فالإمام الباقلاني المؤمن ببديع نظمهم وعجيب رصفه وحسن تأليفه يقرر بطلان هذا المذهب لأنهم: "لو كانوا صرفوا على ما ادعاه لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين ، عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة ، وحسن النظم ، وعجيب الرصف ؛ لأنهم لم يتحدثوا إليه ، ولم تلزمهم حجته ، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان "2. أما الإمام عبد القاهر الجرجاني في رسالته الشافية التي خصصها لموضوع التحدي إلى المعارضة ، فقد أفرد فصلا كاملا في الذي يلزم القائلين بالصرفة أبطل فيه مذهبهم بردود كافية شافية . ليخلص في الأخير إلى القول : "إنه قول في غاية البعد والتهافت ، بأنه من جنس ما لا يعذر العقل في اعتقاده "3.

1- د/ أحمد جمال العمري " المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني " ص 29.

2- الباقلاني " إعجاز القرآن " تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف بمصر، ط3، 1971م ، ص30.

3- عبد القاهر الجرجاني " الرسالة الشافية " (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ، ط1968م، ص149.

وخلاصة القول: مهما يكن من بطلان القول بالصرفة فقد أدت إلى نشأة البحث حول الوجوه البديلة ، فكان على العلماء أن يبحثوا عن الوجوه الأخرى التي يمكن أن تكون دليلاً على الإعجاز. فاتجه علماء الإسلام إلى البحث والتنقيب ، فاهتدوا إلى بيان أسرار البلاغة في هذا الكتاب المبين المنزل من عند الله الحكيم قرآناً عربياً ، فكان هذا الباطل سبباً في خير كثير عاد على الدراسات القرآنية ، والدراسات البلاغية . وهذا ما سنحاول أن نكتشفه في قادم مراحل البحث وخاصة مع الإمام عبد القاهر الجرجاني .

الفصل الأول

الدرس النحوي والبلاغي عند العرب.

1. الدرس النحوي عند العرب:

- حالة العربية قبل وضع النحو.
- القرآن الكريم والدراسات النحوية.
- نشأة النحو العربي.
- الأصالة والتأثر في الدرس النحوي.
- تقعيد النحو العربي.
- المدارس النحوية.

2. الدرس البلاغي عند العرب:

- مفهوم البلاغة.
- بين الفصاحة والبلاغة.
- عوامل نشأة البلاغة.
- أ . الشعر.
- ب . القرآن الكريم.
- ج . تقعيد اللغة.

1. الدرس النحوي عند العرب :

— حالة العربية قبل وضع النحو :

"كان العرب ، وهم في عصرهم الجاهلي ، أمة أمية يتكلمون سليقة ، ويتفاهمون سجية ، وكانت الملكة النحوية تنتقل من السلف إلى الخلف بدون تلقين ولا تعليم ، حتى أن قراء القرآن الكريم سموا بهذا الاسم لغرابة القراءة عليهم".¹

وكان العرب قبل الإسلام أمة فصاحة وبيان، وخطابة وبلاغة لسان ، وقد تجلّى ذلك في أهم مظاهر الحياة العقلية عندهم والشعر الذي كان جارياً على كل لسان ، ووسيلة خطاب في كل مكان من المنطقة العربية .

وقد عرفه ابن قتيبة (276هـ) بقوله : "الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار ، والحجة القاطعة عند الخصام ، ومن لم يقيم عندهم على شرفه، وما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه شدّت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً".²

وكان الاعتناء به كبيراً، وبلغته أكبر فزهير مثلاً كان يهذب قصائده وينقحها، ويتقن سبكها ونظمها، قبل أن يخرجها إلى الجمهور في أحسن صورة منقحة جيدة، حتى وُسِّمت بالحوليات لبقائها حولاً كاملاً في مخبر التمهيص والتدقيق ، يضع كل لفظ في مكانه المناسب ويعدل إذا اقتضى الأمر أجزاء من تراكيبها .

وقد ظل العرب على هذا القدر العالي من الفصاحة والبيان ردحاً من الزمن يباهون به الأمم الأخرى بتلك البلاغة الفذة حيث "أكب الشعراء على العربية يتقنونها ويتمثلون ملكتها وسليقتها

1— عبد الجليل مرتاض، بواد الحركة اللسانية عند العرب، مؤسسة الأشرف، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ص9.

2— ابن قتيبة " عيون الأخبار " دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1963م ، ج5 ، ص185.

تمثلاً دقيقاً ، نافذين بذوقهم المتحضر إلى أسلوب مصفى يجمع حيناً بين الجزالة والرصانة ، وحيناً يجمع بين الرقة والعدوبة "1.

فالشعر الجاهلي كان إحساساً أكثر منه عقلاً . والشاعر تستثيره الأحداث التي تقع في محيط حياته فيندفع إلى التعبير عنها بعاطفته وشعوره .

والعربي بطبعه مرهف الإحساس، فهو يغضب ويرضى، ويثور ويهدأ لأقل الأسباب 2. ومما يميز الشعر العربي في العصر الجاهلي بُعده عن التكلف والصنعة لوجود منهاج ملائم صاف له وهو البادية موطن كل فصيح ، الأمر الذي جعله مطبوعاً ينم عن سلامة الفطرة والذوق.

" ولما جاء الإسلام، ونزل الكتاب وبدأ التفسير في العصر الإسلامي كان كلام العرب لا يزال فيهم طبعاً وملكة راسخين وهذه القواعد من نحو وصرف وعروض وبيان لم تكن علوماً مستقلة عن اللغة تدرس تدريساً، وعلى هذا فإن التفسير وفهم الوحي والحديث لم يكن يحتاج إليها ، لأنها كانت جبلة وملكة في القوم "3.

إلا أنهم وقفوا أمامه مشدوهين ، فقد نزل بلغتهم وتراكيبهم ولكن ذلك وفق أساليب لم يألفوها، وبذلك تحدّاهم على الإتيان بشيءٍ من مثله مهما أوتوا من قوة البيان وفصاحة اللسان كما نص على ذلك القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿قُلْ لِّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ

يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٤٨﴾

4.

1- شوقي ضيف "تاريخ الأدب العربي" دار المعارف، القاهرة، ط6، ص37

2- عبد العزيز عتيق " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " دار النهضة العربية، بيروت، ط4، 1986م، ص37.

3- عبد الجليل مرتاض "بؤادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب " مؤسسة الأشرف، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص09 .

4- الآية 88 من سورة الإسراء.

فالخلق (إنساً وجناً) عاجزون على الإتيان بمثله ، أو بعشر سور من مثله مفتريات ، أو بآية بقدر أقصر سورة منه . ولو احتشدوا لذلك ، وكان بعضهم لبعض ظهيراً . والآية فيها تحد ، " تبطل القول بالصرفة ، وأنهم كانوا قادرين على التحدي لولا المنع " 1، والقول بالصرفة قول باطل وساقط، وهو كما وصفه عبد القاهر الجرجاني: "قول في غاية البعد والتهافت، وأنه من جنس مالا يعذر العاقل في اعتقاده " 2.

ولكن عجزهم عن الإتيان بمثله لا ينفي بقاءهم على قدر عال من الفصاحة ؛ كما كانوا قبل الإسلام ، يجودون بما تجود قرائحهم بسلامة وقوة دون أن يصيب لسانهم دخيل لأن " الانفراد الاجتماعي والسياسي للعرب حال دون تسرب الفساد للسان العربي ، فكان أطفالهم يرضعون من آبار لغوية صافية ، فظلت اللغة تتوارث أجيالاً بالاعتماد على الطبع والسماع وحدهما " 3. كما أشار ابن الأثير إلى ذلك بقوله : " إن اللسان العربي كان محروساً لا يتداخله الخلل ولا يتطرف إليه الزلل " 4.

فظلت لغة العرب تجري على ألسنتهم عذبة صافية صحيحة في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام الأول .

وربما كان المخطئ في اللغة أو اللاحن فيها يستحق العقاب زيادة على الاستهجان، فقد روي "أن

1— أحمد سيد محمد عمار " نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم " دار الفكر ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1998م ، ص 76.

2— عبد القاهر الجرجاني " الرسالة الشافية " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص. 149.

3— عبد الجليل مرتاض " بواذر الحركة اللسانية الأولى عند العرب " ص 9.

4— ابن الأثير " النهاية في غريب الحديث " دار الكتاب العربي، ج 1 ، ص 3 .

كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب : " من أبو موسى ... " فكتب عمر إلى أبي موسى : " أن اضرب كاتبك سوطاً ... " نظراً لاستقباح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا اللحن في اللغة "1.

كما حرص الأقدمون على الحفاظ على الطبائع السليمة بعدم روايتهم للشعر الرديء خوفاً من الاقتداء به وحفظه وشيوعه بين عامة الناس ، وقد كانت الأسواق مكاناً لترشيد هذه الأشعار وتهذيبها وإنشادها ، كما كان حال النابغة الذبياني في عكاظ ، فهو ناقد مصحح موجه ، خوفاً من أن يكون خطأ ما فيها فيشيع استعماله وتداوله .

أما الخلفاء والأمراء فكانوا هم الآخرون على دراية بأهمية الشعر ودوره في التنشئة الفصيحة لأبنائهم ، فراحوا يختارون لتأديب أبنائهم فصحاء يعلمونهم أشعار الفحول من الشعراء المشهورين ليسلكوا بها نهجهم ، أو ليتمروا عليها .

فقد روى صاحب الجمهرة (170هـ) خبراً يعزّز ما تقدم قال: " قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : "أدّبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه عذوبة، قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره، فمن زعم أن أحداً من الشعراء أشعر من الأعشى، فليس يعرف الشعر".2

فحرص عبد الملك بن مروان على تعليم أبنائه النماذج الراقية من الشعر إثبات لدور الشعر وفضله في تعلّم اللغة والتمرس عليها.

وعلى الرغم من حرص العرب العاربة على لغتهم إلا أنهم لم يكونوا على دراية بالمصطلحات النحوية بأسمائها من نحو وصرف وإعراب ورفع ونصب وهمز ...

ولعل أقدم رواية أو حوار وجد في هذا الباب ذلك الحوار الذي دار بين الأصمعي وأعرابي إذ قال الأصمعي: قلت لأعرابي : " أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء؛ ثم قلت له : أفتجر

1— أحمد شامية " خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995م، ص 76.

2— أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي " جمهرة أشعار العرب " دار الميسرة، بيروت، لبنان، 1978م، ص 30 .

فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي " . 1

لقد كان لنزول القرآن أثر كبير على اللغة ، لاسيما أنه يمثل قمة اللغة في البيان ، فاعتنوا به تفسيراً مستخدمين الشعر للاستشهاد، وقد كان لعلماء اللغة المسلمين في تحقيق لفظ (قرآن) في اللغة أقوال فعرض السيوطي (911هـ) في الإتيان مجموعة منها فقال : " فالشافعي كان يرى أن القرآن اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى " . 2.

" والفراء (207 هـ) يقول : " هو مشتق من القرائن لأن الآيات يصدق بعضها بعضاً " والزجاجي (310 هـ) يقول : " وصف على وزن فعالان ، مشتق من القرء بمعنى الجمع " وينتصر السيوطي لرأي الشافعي ويفضله على الآراء الأخرى إذ يقول : " والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي " . 3

— القرآن الكريم والدراسات اللغوية :

سحر القرآن الكريم العرب منذ اللحظة الأولى لنزوله ، ووقفوا منه مبهورين حيارى لا يدرون ماذا يقولون سواء منهم من هداه الله للإيمان ، ومن جعل على بصره غشاوة .

حيث يحكي القرآن عن الذين يخشون ربهم بأن جلودهم تقشعر عند سماعه. يقول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ

نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ

يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۚ ﴿٢٣﴾ 4.

1 — أبو عمر محمد بن عبد ربه الأندلسي " العقد الفريد " شرح وضبط : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأنباري، ط2، القاهرة 1952م، ج3، ص 475 .

2 — السيوطي " الإتيان في علوم القرآن " تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة ، ط3 ، 1985م ، ج1، ص 50 .

3 — المصدر نفسه ، ص 50.

4 — سورة الزمر الآية 23 .

ويروي لنا التاريخ أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — رَقَّ قلبه وأسلم حينما سمع القرآن الكريم . فقال : " ما أحسن هذا الكلام وأكرمه " ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكَبَّرَ النبي تكبيرة ، عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر — رضي الله عنه — أسلم " 1.

لقد كان القرآن الكريم هو الباعث الأول على نشأة العلوم اللغوية كما يرى معظم الدارسين ، فمنذ " نزول القرآن بدأت عناية المسلمين به تفسيراً وجمعاً وضبطاً ودراسة ، وإذا تجاوزنا ما كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من تفسير الآيات وتوضيح مراميها وتيسير معانيها يكون العمل المنسوب لابن عباس جمع غريب القرآن وشرحه من كتابه " غريب القرآن " أول ما وضع في هذا المجال " 2

فقد كان القرآن الكريم — ولا يزال — مكان الصدارة في دراسات العلماء والباحثين ، لأنه وحي السماء ، ومصدر التشريع ، والقانون المنظم للسلوك، والمرشد إلى معالي الأمور ومن ثم ما زالت العناية بالقرآن تتطلب أكثر مما يتصوره العقل من مشقة وعناء تأدية للواجب ، حتى وُجد عمل آخر يُعنى بجانب آخر منه وهو الاهتمام بجمعه وتوحيد نصه ، فقد أشار عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — إلى أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — حينئذ بجمع متفرقه فجمعه من صدور الحفاظ وسعف النخيل ، وأتم عثمان — رضي الله عنه — هذا الجمع بتوحيد نصه وتعميمه على الأمصار حتى يكون " عاملاً في توحيد كلمة المسلمين من التفرق الذي يسببه اختلاف مصاحفهم " 3 .

1— ابن سعد "الطبقات الكبرى" ج3، نقلا عن قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية لعبد العزيز معطي عرفة، ص.35

2— محمد حسين آل ياسين "الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري" منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، ص.53

3— المرجع نفسه، ص.53.

وإذا كانت هذه الجهود أدت إلى هذا العمل السامي الذي يتوحد به المسلمون، فإن ظروف أخرى قد برزت تتمثل في التصحيف وانتشاره بالعراق بسبب التشابه بين الحروف ، فاحتيج إلى الضبط الذي عرف بـ : " النقط والإعجام " توضيحاً للتشابه وتمييزاً لهذه الحروف حتى يقرأ القرآن قراءة صحيحة الحروف ، ولعل هذا ما أشار إليه ابن خلكان في قوله : " إن الناس غيروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهات علامات " 1.

ورأى المسلمون حفاظاً على لغة التنزيل من اللحن أن يسان القرآن بالضبط. فتصدى زياد بن أبيه لهذه المهمة فطلب من أبي الأسود الدؤلي أن يعمل على ضبط القرآن فوضع نَقْطُهُ الإعرابي للقرآن الكريم متخذاً لذلك كاتباً فطناً من بني عبد القيس، وقال له : " إذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف ، فإن أتبع شيئاً من ذلك غنة (تنويناً) فاجعل مكان النقطة نقطتين ، وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى آخره بينما كان الكاتب يضع النقط بحبر يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات " 2.

وقد عمل تلامذته من أمثال "ناصر بن عاصم" و"عبد الرحمن بن هرمز" و"يحيى بن يعمر" و"عنبسة الفيل" و"ميمون الأقرن" وغيرهم على إشاعة عمل أستاذهم وتطويره و التفصيل فيه .

1 — ابن خلكان " وفيات الأعيان " بيروت ، 1972م ، ج 1 ، ص 125.

2 — شوقي ضيف " المدارس النحوية " القاهرة ، 1976م ، ص 16.

— نشأة النحو العربي :

إن المتصفح لكتب الرواة والمؤرخين ليصل إلى حقيقة نشأة النحو ليجد اضطراباً في الرواية ، وتناقضاً بين العلماء . فلو أخذنا كتاباً واحداً كنزهة الألباء لابن الأنباري (577هـ) وجدناه يشتمل على عدة روايات مختلفة في هذا الموضوع مما يفتح باب الشك والريبة واسعاً من هذه الروايات. فمرة يقول إن علياً — رضي الله عنه — هو الذي وضع النحو لما سمع أعرابياً يقرأ آية : ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ 1، ويقول " لا يأكله إلا الخاطئين"، فوضع النحو 2.

ومرة أخرى يجعل من علي مصدراً لمقاييس هذا العلم واصطلاحاته، ويشترك معه في هذا الجهد العلمي أبو الأسود الدؤلي فيقول: روى أبو الأسود قال: " دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين فقال : إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه، ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها الكلام كله اسم وفعل وحرف ... وقال لي : انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ... " 3.

وفي رواية ينسب نشأة النحو إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فيقول : قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال: من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل من سورة براءة : "أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ" بكسر اللام عطفاً على المشركين فقال الأعرابي : إن يكن الله بريء من رسوله ، فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ... فصحح له الآية ، وأمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة

1 — سورة الحاقة الآية 37.

2 — ابن الأنباري " نزهة الألباء في طبقات الأدباء " تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي ، بغداد، ط 2 ، 1970م، ص. 07.

الدرس النحوي والبلاغي عند العرب

الفصل الأول

وأمر أبا الأسود أن يضع النحو 1. وفي رواية رابعة أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود أن يضع شيئاً يقيم كلام العرب بعد اختلاط الأجناس فأبى ثم قبل : "إذا فتحت فمي بالحرف ...".

ويرى ابن الأنباري أن أبا الأسود هو الذي ألح على زياد أمير البصرة بأن يأذن له أن يضع للعرب ما يعرفون به كلامهم 2.

ورواية سادسة تفرد أبا الأسود بوضع النحو دون أن يشاركه فيه أحد. فقد قالت له ابنته "ما أحسنُ السماء" فقال لها : "نجومها" فقالت : "إني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقال لها : "إذا قولي ما أحسن السماء" فحينئذ وضع النحو .

ويميل ابن النديم في الفهرست إلى أن أبا الأسود هو أول من وضع النحو. إذ ذكر في خبر طويل ملخصه "أن رجلاً يقال له محمد بن الحسين يعرف بابن أبي بكرة وكان جماعة للكتب، وكان له خزانة لم ير لأحد مثلها كثرة في زمنه. ومن بين تلك الكتب حكاية في أربع أوراق ترجمتها" فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود — رحمة الله عليه — بخط يحيى بن يعمر " 3

هذه الروايات المتضاربة المتعددة حول الواضع الأول لعلم النحو العربي دفعت بعض العلماء المحدثين والمستشرقين إلى التشكيك فيها والاحتباس منها لأنها لا تقوم على سند متين فاتخذوها حجة للطعن في أصالة الدرس النحوي العربي .

1— ابن الأنباري "نزهة الألباء" تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، ط 2، 1970م، ص 19— 20

2— ابن الأنباري "نزهة الألباء" ص 21.

3— ابن النديم "الفهرست" تحقيق ونشر شعبان خليفة و وليد محمد العوزة ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1991م، ص 61.

— الأصالة والتأثر في الدرس اللغوي :

وجه نفر من الباحثين عنايتهم إلى طعن العرب في أصالة دراساتهم اللغوية زاعمين تأثر هذه الدراسات على اختلافها بدراسات الأمم الأخرى في مجال البحث اللغوي محاولين أن يجدوا في خبر ملفق هنا وإشارة موضوعية هناك سنداً يستندون إليه في مذهبهم .

" فالنحو لم يسلم من مزاعم التأثر بالنحو الأجنبي ، فقد شكك عدد من الدارسين المستشرقين وأنكروا أن يكون النحو من وضع أبي الأسود الدؤلي أو حتى غيره من العرب لأنه من صنع اليونان أو الفرس والقليل منهم من يسلم بصحة وضع النحو على يد العرب " 1. فيتبعهم في ذلك عدد من أبناء العرب المحدثين من أمثال "إبراهيم بيومي" و " جرجي زيدان " و " مصطفى نظيف " .

والمستشرق " فون كريمر " ينفي نفياً قاطعاً أصالة الدرس النحوي العربي مكذباً الرواية القائلة بتسرب الفساد إلى العربية الذي كان سبباً في وضع النحو تلافياً لهذا الفساد ، ونراه ينفث سماً من سموم المستشرقين قائلاً: "إنها رواية لا يعول عليها إطلاقاً، ولا أساس لها، فالنحو العربي من وضع الأجانب من الآراميين والفرس ، وقد أوجدته الحاجة التي أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية والضرورة التي أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح، وعلى الأخص العرب الذين أرادوا أن يوقفوا حياتهم للدراسات العلمية" 2.

أما "دي بور" فقد ذهب به الأمر إلى زعمه تأثر النحو العربي بنظيره الفارسي القديم واليوناني على يد "حنين بن إسحاق" وابنه من جهة ، و"ابن المقفع" من جهة أخرى مستدلاً بالحركة العلمية التي كانت يومئذ في البصرة، كما حاول ربطه بالمنطق اليوناني والنحو السرياني يقول دي بور :

"و كان بين نخاة البصرة وكثيراً من الشيعة و المعتزلة الذين فسحوا السبيل للحكمة الأجنبية لكي

1— عبد العال سالم مكرم " القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية " دار المعارف ، مصر ، 1978م، ص54 .

2— فون كريمر " الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية " تعريب مصطفى بدر ، دار الفكر العربي، مصر ، ص90 .

تؤثر في مذاهبهم الكلامية¹. فإذا كان هذان الرأيان ليسا غريبين على صاحبيهما، فإنه من الغرابة أن نرى من العرب المحدثين من يطعن في ماضيهم اللغوي والتاريخي معتمدين على آراء المستشرقين، ومن هؤلاء : " إبراهيم بيومي " الذي يذهب إلى تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني مستدلاً بالحركة العلمية النشيطة في البصرة موضع نشأته ، و " مصطفى نظيف " الذي يقف من القضية موقف " كريمة " تقريباً ويبرر هذا الموقف بمعاصرة أحد النحاة السريانيين " يعقوب الرهاوي " لأبي الأسود الدؤلي ، بالإضافة إلى كون البصرة موضع التقاء العرب بالفرس والسريان والهنود ، وكون اللغة السائدة هي السريانية .

إن عرض هذه الآراء هو لمعرفة ما يبيته المستشرقون وأتباعهم من حقد على العربية والإسلام على السواء ، وهي آراء تفتقد إلى كثير من الموضوعية والإنصاف العلمي والتاريخي، فكيف يمكن لأي أجنبي يدخل الإسلام ويبتكر لنفسه القواعد، فلو كان بإمكانه في البداية ذلك لما وقع لحن و لبقيت السليقة قائمة ولما احتجنا إلى النحو ، أما عن تأثر النحو العربي بنظيره الفارسي أو السرياني أو اليوناني فلا يمكن القول به ، لأن دوافعه تختلف عن دوافع نشأته في تلك الأمم ، فالتاريخ أثبت أن علماء العرب كانوا قمة في الدهاء من أمثال "الخليل" و"سيبويه" و"عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" و"أبو عمرو بن العلاء" و"عيسى بن عمر" و"يونس بن حبيب" إضافة إلى أن العقل العربي بلغ ذروته في القرن الثاني الهجري .

والجدير بالذكر أن تشابه أمة من الأمم مع أخرى في مجال الدرس اللغوي لا يعني بالضرورة وجود تأثير معين بين هاتين الأمتين . كما أن الإبداع والابتكار ليس وقفاً على عقل دون آخر، أو شعب دون شعب.

لقد نشأت حركة نحوية في بيئة عربية مقاومة آثار الوباء اللغوي " اللحن " وكان قادتها أبو الأسود وتلامذته أولاً ، ثم ما لبث نطاقها يتسع ، وكانت البداية جمع اللغة ورواية الشعر

الفصل الأول

الدرس النحوي والبلاغي عند العرب

من البوادي والأعراب ، وسماعهم من العرب وإقامتهم بين ظهرانيتهم مدة تطول وتقصّر ثم العودة إلى مواطن الدرس في الحواضر لعرض المادة في المجالس والحلقات (البصرة ، الكوفة ، بغداد) . محددين حيزاً جغرافياً يأخذون عنه ، كما كان "الخليل" وأمثاله يفعلون . حيث يقول أبو زيد الأنصاري وهو أوثق هؤلاء كلهم وأكثرهم سماعاً من فصحاء العرب : " ما أقول : قالت العرب إلا إذا سمعته من عجز هوازن " . وفي رواية أخرى : إلا إذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبني كلاب ، وبني هلال ، أو من عالية السفلة أو من سافلة العالية ، وإلا لم أقل : قالت العرب " 1 . وكانت هذه الحركة بصرية في البداية لكون البصرة مصدر اللحن ، فكانت بذلك مصدر النحو أيضاً والعلماء الذين سبق ذكرهم بصريون كلهم . ثم انتقلت هذه الحركة إلى الكوفة فكان بها طائفة من النحاة " غير أنهم لم يبرعوا في النحو براعة البصريين ، ومن أجل ذلك كانوا يكثرون من الرحلة والتلمذة عليهم " 2 ، ومع مرور الزمن صار في النحو مذهبان ، بصري وآخر كوفي "مذهب البصرة يُعنى بالقياس مستمداً أصوله من استعمال العرب الشائع، ومذهب الكوفة يُعنى بالسماع ويقدمه على القياس مهما كان شاذاً نادراً " 3 .

— تقعيد النحو :

بعد أن جمعت اللغة ونشط العلماء في تنظيم مادتها وتبويبها وتهذيبها ، وكان نتيجة لمجهوداتهم هذه أن ظهرت البحوث والمصنفات التي جمعوا فيها ما وقع عليه اختيارهم من اللغة، ثم جاء علماء النحو والصرف ومضوا يفلسفون اللغة اقتداءً بما فعله الفقهاء في آيات الأحكام من القرآن الكريم

1— السيوطي " الاقتراح في أصول النحو " المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، 2003م، ص153 — 154 .

2— شوقي ضيف " تاريخ الأدب العربي " دار المعارف ، القاهرة ، ط6، ص123 .

3— المرجع نفسه ص 123 .

والأحاديث النبوية الشريفة ، وفتاوى الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، وأرادوا أن يضعوا للجزئيات كليات، وأن يحددوا لما وصل إلى أيديهم من مادة أولية قواعد عامة وأصولا كلية. وبذلوا في ذلك جهدا غريبا في تتبع النصوص وأعمال الفكر ، واستخراج الأدلة ووضع القواعد وتنظيم البحث فيها .

وكانت بيئة العراق تربة خصبة للدراسات اللغوية لما لها من إرث حضاري وثقافي ، ولما انتشر فيها من موالٍ وأعاجم ، وبما عرف فيها من ثقافات أجنبية متعددة أسست لمثل هذا البحث العقلي . ففي البصرة والكوفة بدأ بحث النحو ونما وتطور ثم استقر وأخذ صورته النهائية المنظمة الدقيقة التي نراه عليها الآن ، ولم تعرف الأمصار الإسلامية الأخرى أي محاولة واضحة المعالم لوضع قواعد النحو العربي أو البحث في أصوله وعلمه .

— المدارس النحوية :

المدرسة النحوية مصطلح يشير إلى اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي لها سمات محددة قد تتفق أو تختلف مع مثيلاتها من المدارس أو المذاهب الأخرى. والمذهب يرسمه ويحدده ويضع أصوله فرد معين تكون له المقدرة على إقناع أفراد آخرين به فيعتقدونه ويسيرون على هداه . وقد اختلفت هذه المدارس في مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية وارتبط كل اتجاه منها بإقليم عربي معين . ومن الثابت "أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من ضبط قواعد النحو، فوضع باب الفاعل ، والمفعول به ، والمضاف ، وحروف النصب و الرفع والجر والجزم".¹

1— الزبيدي الأندلسي — أبو بكر محمد بن الحسين — "طبقات النحويين واللغويين" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، مصر 1973م، ص21.

أما منذ أواسط القرن الثاني للهجرة فقد سار الدرس النحوي في اتجاهين متباينين كان سيبويه وتلاميذه يمثلون اتجاهاً، وكان الكسائي وتلاميذه يمثلون اتجاهاً آخر. فكان الاتجاه الأول هو اتجاه البصريين ، والاتجاه الثاني هو اتجاه الكوفيين .

وجدير بالذكر أنه " كان بين البصرة والكوفة منذ توصيرهما تنافس يقوم على أساس الإقليم، وكانت دوافعه في الغالب سياسية "1. "أما النزاع فقد كان شديداً وقد ولد في قواعد النحو العربي تشعباً في الآراء وتعسفاً في التحليل، ثم جاءت مدرسة أخرى حاولت أن توفق بين الآراء المتضاربة باسم مدرسة بغداد "2.

فما هي سمات كل مدرسة نحوية ؟ وماهي أوجه الاختلاف الأصلية بين هذه المدارس ؟
أ- مدرسة البصرة :

"كانت البصرة مولد النحو ومهده"3. ويكاد يجمع الباحثون على أن أول من نسبت إليه آراء نحوية في كتب النحو " عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) فهم يقولون أنه كان أعلم أهل البصرة في وقته ، وكانت له آراء واجتهادات. ووضع رسالة في الهمز تعد أول بحث في المسائل النحوية كما استطاع أن يستغل القياس بمهارة في أبحاثه وكان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل "4.

إلا أن هذه الخطوة تعد بدائية ، تلتها خطوة أكثر نضجاً وأشملاً تأليفاً على يد عيسى بن عمر الثقفي الذي صنف كتابين في النحو سمى أولهما " الجامع " أي الذي يجمع مسائل النحو، وسمى الثاني "الإكمال أو المكمل" ، ثم جاءت الخطوة الأخيرة المتمثلة في اختراع أصول النحو على يد

1- مهدي المخزومي " الدرس النحوي في بغداد " دار الرائد العربي ، بيروت ، 1986م، ص11.

2- عبد الرحمن السيد "المدرسة البصرية النحوية نشأتها وتطورها " دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص108.

3- محمد طنطاوي " نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة " القاهرة، دار المنار، 1991م، ص75.

4- ابن سلام الجمحي " طبقات فحول الشعراء " تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة ، 1974م، ص5.

الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي استطاع أن يحدد عناصر هذا الاختراع، وأن يستنبط أصوله، ثم ترك الخليل تدوين وتسجيل هذا الاختراع بكل أصوله وفصوله، إلى تلميذه " سيبويه " الذي جمعه في كتاب بعد أن تلقاه عنه وتعلمه عليه . 1 ثم نحا مذهب سيبويه آخرون أمثال أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وغيرهما .

منهج البحث عند مدرسة البصرة :

إن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلاً ، وطريقتهم أكثر تنظيماً . 2 وخطتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها،الكثيرة الدوران على ألسنة العرب ، التي تصلح للثقة فيها.أن تكون قاعدة تتبع ولن يكون ذلك إلا إذا وردت في كتاب الله الكريم ، ونطق بها العرب الخالص الذين شهد لهم بالفصاحة لبعدهم عن اللحن كالاتصال بالأعاجم سواء بالرحلة أو الجوار،أو لرسوخ قدمهم في اللغة، وتبصرهم بها، وإطلاعهم عليها ككبار العلماء والأدباء ، هؤلاء الذين يمكن أن توضع أقوالهم موضع الاعتبار . لذلك لم يكن بدعا أن نرى السيوطي يقول : " اتفقوا على أن البصريين أصح قياساً لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ " . 3 الحق أن نخاة البصرة تأثروا بالبيئة البصرية ونهج المعتزلة، وتأثروا بهم في الاعتداد بالعقل، وطرح كل ما يتعارض معه، فأهملوا الشواذ في اللغة، لهذا سمي نخاة البصرة أهل المنطق .

ب — مدرسة الكوفة :

اختلف العلماء في تحديد مؤسسها وواضع قواعدها إلا أن أكثر العلماء متفقون على أن أبا جعفر الرؤاسي هو المؤسس لهذه المدرسة . 4

1— كارل بروكلمان " تاريخ الأدب العربي " القاهرة، ج2، ص.131

2— أحمد أمين " ضحى الإسلام " دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1973م، ج2، ص.296.

3— عبد الرحمن السيد " المدرسة البصرية النحوية نشأتها وتطورها " دار المعارف، القاهرة، 1968م، ص.149

4— السيوطي " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " المجلد الأول، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ص 35.

ويرى بعض الباحثين أن الكسائي هو المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية، استناداً إلى أن الرؤاسي لم يخلف لنا كتاباً أو رسائل في النحو يستحق بها أن يكون مؤسساً لهذه المدرسة النحوية . ولسنا الآن في مقام تفنيد الآراء وتأييد بعضها على بعض ، بيد أن جلّ الدارسين يتفقون على أن الرؤاسي هو واضع علم النحو الكوفي ومؤسس مدرستها في القرن الثاني الهجري حيث كان معاصراً للخليل .

وهذا ما يؤيده أحمد أمين بقوله : " أنشأ الرؤاسي مدرسة الكوفة في النحو ووضع فيه كتاباً لم يصل إلينا وقالوا إن الخليل اطلع عليه وانتفع به ، وبدأت من ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة وبدأ الخلاف هادئاً بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة وصار لكل مدرسة علم تنحاز إليه فرقة "1. ومهما تضاربت الآراء حول المؤسس لمدرسة الكوفة سواء أكان الرؤاسي أم الكسائي، فإن الذي لا نقاش فيه أن المدرسة الكوفية كانت حقيقة تاريخية وعلمية ؛ وكان لها علماءؤها ومؤيدوها .

منهج البحث عند مدرسة الكوفة :

إن الأصل العام لمدرسة الكوفة العناية بالشواهد والنوادر، وكان من بين أصحاب الكسائي و الفراء وثعلب حفظة لهذه الشواهد كعلي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي الذي قيل : " إنه كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو"2 . فالكوفيون احترمو كل ما جاء عن العرب واعتدوا به وجعلوه أصلاً من أصولهم التي يرجعون إليها ويقيسون عليها . ويستوثقون منها حتى تلقفوا الشواهد النادرة وقلبوا الروايات الشاذة. كما أنهم "لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه"3. وقد قامت المدرسة الكوفية "على أسس بصرية وكوفية ، أما الأسس البصرية فهي الخطوط التي تأثر بها الكسائي بدراسة على الخليل وغيره من قدماء البصرة .

1- أحمد أمين " ضحى الإسلام " دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة العاشرة ، ج2 ، ص294.

2- مهدي المخزومي "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو" دار الرائد العربي، بيروت ، ط3 ، 1986 م، ص.334.

3- السيوطي " الاقتراح " ص100.

أما الأسس الكوفية فهي الخطوط التي تأثر بها الكسائي في بيئته العلمية الأولى ، يوم أن كان قارئاً معنياً بالرواية والنقل ، شأن القراء والمحدثين الذين طغى منهجهم على البيئات العلمية في الكوفة .¹

وهكذا نلاحظ أن المدرسة البصرية تختلف عن المدرسة الكوفية في موقفها من النصوص التي وصلت إليها، فالبصريون لا يقبلون من هذه النصوص، إلا ما أجمعت عليه لهجات العرب ، أما الشواذ فإنهم يهدرونها، بل إنهم يجرؤون أحيانا على تخطئة العرب إذا ورد عنهم ما يخالف القواعد التي وضعوها .

" أما الكوفيون فيقبلون كل ما وصل إليهم من العرب ، ويحترمونه ولو كان شاذاً ويبسحون القياس عليه ، ولو خالف القواعد العامة التي وصلوا إليها ، بل يضعون لكل شاذ قاعدة يجوز القياس عليها . ومن هنا اختلفت المدرستان في المنهج اختلافاً أدى بهما إلى اختلاف في النتيجة . فكان النحو البصري أكثر تنظيماً ، وأدق قياساً من النحو الكوفي في حين كان النحو الكوفي أشد تمثيلاً لللهجات العرب، وأكثر تقديساً لكل ما ورد عنهم ."²

وخلاصة القول أن الكوفيين كانوا أكثر جرأة في موقفهم، وأكثر حرية في منهجهم ، في حين كان البصريون متقيدين متحفظين ، وأن منهج البصريين بما فيه من ميل شديد إلى التعقيد كان أقرب إلى طريقة التعليم. ومذهب المعلمين المقننين ، في حين أن منهج الكوفيين بكونه أقرب وأوقع إلى فهم طبيعة اللغة كان بذلك مذهب العلماء المحافظين .

ج — مدرسة بغداد :

ظهرت المدرسة البغدادية حوالي منتصف القرن الثاني الهجري ، نتيجة تشجيع الخلفاء للعلماء

1— مهدي المخزومي "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو" دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986، ص395—396.

2— المرجع نفسه، ص398.

وعودتهم لتربية أولادهم." فبغداد مدينة ملك وليست بمدينة علم، وما فيها من العلم منقول إليها ،
محبوب للخلفاء وأتباعهم".¹ ولكنها استطاعت بحكم أنها حاضرة الدولة ، ومدينة الخلفاء والأمراء ،
أن تجتذب العلماء والشعراء ، وأن تفرض وجودها على مدينتي البصرة والكوفة .

وقد اختلف في حقيقة هذه المدرسة بين من يرى أنها امتداد للمدرستين السابقتين ، وامتزاج للمذهبتين
ومن يرى أنها مدرسة قائمة بذاتها استطاعت أن تكون لنفسها مذهباً وآراء، ومن ينكر وجودها كلية .

فبعض الباحثين يرى أن المذهب البغدادي قام على الانتخاب من آراء المدرستين (البصرية والكوفية)
يقول أحمد أمين : " وكان التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد سبباً في عرض مذاهب المدرستين
واتجاهاتهما، ثم نقدها والانتخاب منها " .² ويقول محمد الطنطاوي: "أنه بالتئام عقد الفريقين في بغداد
، نشأ المذهب البغدادي الذي عماده الترجيح بين الفريقين " .³

ورأى أحمد مكى الأنصاري : " أن المدرسة البغدادية إنما نشأت عن امتزاج المدرستين تدريجياً حتى
استوى أمرها ، وأن الفراء هو المؤسس الحقيقي لها " .⁴

وفريق آخر يرى أنها تخرج برجال الكوفة " جماعة من البغدادية ، ولعوا بالتوسع في الروايات والتباهي
في الترخيصات ، والتفاخر بالنوادر و الطرائف حتى ابتعدوا عن أصول أشياخهم ، واستوى لديهم
مذهب انحاز عن مذهب أسلافهم عرف بمذهب البغداديين " .⁵

وبعض ثالث ينكر كلية وجود هذه المدرسة ، ويقول : " إن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن هناك
مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية ، لا يتفق مع

1- السيوطي " المزهري في علوم اللغة وأنواعها " ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، دار الدعوة، 1998م، ج 2 ، ص260.

2- أحمد أمين " ضحى الإسلام " ج2 ، ص268

3- محمد الطنطاوي " نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة " دار المنار، 1991م، ص26.

4- أحمد مكى الأنصاري " أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة " نقلاً عن نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص27.

5- د/ طه الراوي " نظرات في اللغة والنحو " بيروت، 1962، ص09.

ما كان يراه الأقدمون الأولون من أصحاب التراجم والطبقات، ثم هو لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين، فابن النديم لا يسمي من خلطوا بين المذهبين بغداديين، والزبيدي يذكر في كتابه النحاة واللغويين من البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين والأندلسيين ولا يزيد "ويستطرد بعد ذلك قائلاً: "إذن فلم يكن هناك مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها".¹

و يتضح من خلال ما سلف أن المدرسة البغدادية كانت حقيقة واقعة رغم التباين في الآراء حول وجودها وطبيعته، فقد ظهرت نتيجة التأثير والتأثير، وبفعل التفاعل العلمي بين أنحائها وعلمائها بعد أن فرضت وجودها واجتذبت العلماء من كل مكان وفي كل فن، وجمعت بينهم في القصور والدواوين.

منهج البحث عند مدرسة بغداد :

يقوم منهج المدرسة البغدادية على أساس الجمع والتوفيق والمزج بين آراء المدرستين (الكوفية والبصرية) ، بالإضافة إلى الاجتهادات التي استنبطها العلماء نتيجة للحاجة العلمية والثقافية . وفي ظل هذه المدرسة تحرر الدرس اللغوي من ربة تحكيم العقل . وتحدد أسلوبه برفض التعليقات التي لا صلة لها بالدرس النحوي. كما غلب هذا المذهب النقل على القياس، وحكم الاعتبارات اللغوية في أصول الدرس اللغوي وقواعده الموضوعية. إلا أن أصحاب هذه المدرسة لم يتخلصوا من نزعتهم إلى إحدى المدرستين السابقتين ، أو ميلهم إلى مناهجها أكثر من ميلهم إلى المذاهب الأخرى ، أو إلى الاستقلال عنهما .

ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة الأندلسية بداية من القرن الخامس الهجري ، ومثلها المدرسة المصرية إلا أن علماءها لم يكونوا إلا تابعين لعلماء البصرة أو الكوفة أو بغداد ، ولم يتجاوزوا الاجتهاد في الفروع .

1- إسماعيل شلي " أبو علي الفارسي " بيروت، 1962م، ص9.

2. الدرس البلاغي عند العرب :

— مفهوم البلاغة :

البلاغة في مفهومها اللغوي تعني انتهاء الشيء إلى غايته المطلوبة ، وبلوغه الهدف المنشود . وفي لسان العرب " بَلَغَ الشيءُ يُبْلَغُ بُلُوغاً وَبَلَاغاً: وَصَلَ وَانْتَهَى، وَأَبْلَغَهُ هُوَ إِبْلَاغاً وَبَلَّغَهُ تَبْلِيغاً؛ وَقَوْلُ أَبِي قَيْسٍ بْنِ الْأَسَلْتِ السُّلَمِيِّ:

قَالَتْ، وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الْحَنَى: مَهْلًا، فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي السَّريِعِ

إنما هو من ذلك أي قد انتهيت فيه وأنعمت. وتَبَلَّغَ بالشيء: وَصَلَ إِلَى مُرَادِهِ وَبَلَغَ مَبْلَغَ فُلَانٍ وَمَبْلَغَتِهِ. وفي حديث الاستسقاء: واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين؛ البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. والبلاغ ما بلغك. والبلاغ: الكفاية؛ ومنه قول الراجز:

تَزَجَّ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْبَلَاغِ وَبَاكِرِ الْمَعْدَةِ بِالِدِّبَاغِ

ونقول: له في هذا بلاغ وبلغة تبلغ أي كفاية. 1.

أما في تاج العروس: بَلَغَ الْمَكَانَ، بُلُوغاً، بِالضَّمِّ: وَصَلَ إِلَيْهِ وَانْتَهَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ.

أَوْ بَلَغَهُ: شَارَفَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ. أي قَارَبْنَهُ. 2.

أما في الصحاح: بَلَّغْتَ الْمَكَانَ بُلُوغاً: وَصَلْتَ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا شَارَفْتَ عَلَيْهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ" أي قَارَبْنَهُ. وَبَلَغَ الْغُلَامُ: أَدْرَكَ. وَالْإِبْلَاغُ: الْإِيصَالُ، وَكَذَلِكَ التَّبْلِيغُ، وَالْإِسْمُ مِنْهُ الْبَلَاغُ. وَالْبَلَاغُ أَيْضاً: الْكِفَايَةُ. 3.

أما معناها الاصطلاحي فقد أشار إليه ابن منظور بقوله: "البلاغة: الفصاحة. والبَلِغُ، والبَلِغُ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبَلَّغَ وبَلَّغَ حسن الكلام فصيحاً، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه

1— ابن منظور "لسان العرب" ج2، ص143.

2— محمد مرتضى الحسين الواسطي الزبيدي "تاج العروس من جواهر القاموس".

3— الجوهري "تاج اللغة وصحاح العربية" تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، 1982م.

، والجمع : بلغاء، وقد بُلِّغَ بالضم، بلاغة : أي صار بليغا. وقول بليغ : بالغ وقد بلغ. والبلاغات كالوشايات . والبُلِّغُنُ : البلاغة عن السيرافي ومثل به سيبويه . والبُلِّغُنُ أيضا : النمام ؛ والبُلِّغُنُ : الذي يُبَلِّغُ للناس بعضهم حديث بعض . وتبَلَّغَ به مرضه : اشتد . وبلغ به البُلِّغُنُ بكسر الباء وفتح اللام وتخفيفها ؛ عن ابن الأعرابي ، إذا استقصى في شتمه وأذاه . والبُلِّغُنُ والبُلِّغُنُ : الداهية . 1

وقد وردت في القرآن الكريم . بمعنيين أولهما الانتهاء والوصول وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا

بَلَغَ أَشُدَّهُ ۚ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ 2. وقوله تعالى :

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ

لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ 3.

ثانيهما الفصاحة وحسن القول وذلك في قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٢﴾ 4.

ويقع تفسير ذلك على وجهين :

الأول: أن يكون بذاته بليغا، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صوابا في موضوع لغته، وطبقا للمعنى المقصود ، وصدقا في نفسه ، ومتى احترم وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة .

الثاني : أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه حقيق

1- ابن منظور " لسان العرب " ج 2 ، ص 144 .

2- الآية 22 من سورة يوسف .

3- الآية 07 من سورة النحل .

4- الآية 63 من سورة النساء .

والبلاغة من صفة الكلام لامن صفة المتكلم، وتسميتنا للمتكلم بأنه بليغ نوع من التوسع وحقيقته أن كلامه بليغ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، كما نقول : فلان رجل مُحكم وتعني أن أفعاله محكمة . كقوله تعالى : ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ الْهُدَىٰ وَالتُّذُرُ﴾ 1 .

فجعل البلاغة صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، إلا أن كثرة الاستعمال أيضا جعلت تسمية كلمة مثل " المزادة " رواية كالحقيقة وكان الراوية في الأصل حامل المزادة ، وهو البعير أن يقبله المقول له 2 .

وما يجري مجراه . ولهذا سمي حامل الشعر رواية 3 .

وقد اختلف علماء البلاغة قديما في تحديد مفهوم البلاغة حيث أورد ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة طائفة من أقوالهم منها :

— سئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يُفهم وكثير لا يُسأم . وسئل آخر فقال : معان كثيرة في ألفاظ قليلة ، وقيل لأحدهم ما البلاغة ؟ فقال : إصابة المعنى وحسن الإيجاز . وسئل بعض الأعراب : من أبلغ الناس ؟ فقال : أسهلهم لفظا ، وأحسنهم بديهة . وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحة دالة .

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي : البلاغة كلمة تكشف عن البقية .

وقال المفضل الضبي (168هـ) : قلت لأعرابي : ما البلاغة عندهم ؟ فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي إلى عمرو بن مسعدة : إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا ، فإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا .

وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .

1— ابن عبد الله شعيب أحمد "بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دروس ودراسات" ابن خلدون للنشر والتوزيع، 2004 ص11 .

2— الآية 05 من سورة القمر .

3— د/عبد العزيز عتيق " علم المعاني " دار الآفاق العربية، القاهرة ، مصر ، ط1 ، عام 2006م، ص4 .

وقيل : البلاغة حسن العبارة ، مع صحة الدلالة .

وقيل لأرسطوطاليس : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ قال : الجزالة و الإطالة .

وقال البحري يمدح محمد بن عبد الملك بن الزيات حين استوزر ويصف بلاغته :

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلْتُهَا الْقَوَافِي هَجَنْتَ شِعْرَ جَرُولٍ وَلَيْدٍ الخفيف
حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الْكَلَامِ إِحْتِيَارًا وَتَجَنَّبْتَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبْتَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكَ نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ 1.

وقال العتابي : وقَّيم الكلام العقل ، وزينته الصواب ، وحليته الإعراب ، ورائضه اللسان ، وجسمه القريحة ، وروحه المعاني .

وسئل ابن المقفع ما البلاغة؟ فقال: اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون خطبا ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ، والإيجاز هو البلاغة . 2

وقال أبو الحسن علي بن عيسى الرماني : " أصل البلاغة الطبع ، ولها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل للقوة فيها، وتكون ميزاناً لها ، وفاصلة بينها وبين غيرها ، وهي ثمانية أضرب : الإيجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والبيان ، والنظم ، والتصرف ، والمشاكلة ، والمثل 3.

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث : " البلاغة الفهم والإفهام وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الإعراب ، والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ، والمعرفة بالقصد ، والبيان

1- " ديوان البحري " المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت ، ص329م.

2- ابن رشيق " العمدة " تحقيق : الدكتور محمد قرقران ، دار المعرفة بيروت ، ط1 ، 1988م ، ج1 ، ص420.

3- المصدر نفسه ، ص419.

في الأداء، وصواب الإشارة ، وإيضاح الدلالة ، والمعرفة بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار ، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار ... " 1

قال : " وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض ، كحاجة بعض أعضاء البدن إلى بعض : لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر ، فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ومن شذ عن بعضها لم يبعد عن النقص بما اجتمع فيه منها... قال: والبلاغة تخير اللفظ في حسن الإفهام " 2. تلك جملة من أقوال البلغاء في تعريف البلاغة كما تصورها كل واحد منهم ولعل أقرب هذه التعريفات تعريف عبد الله بن محمد بن جميل وتعريف أبي الحسن الرماني كونهما يتصلان بأصلها ومباحثها . إلا أن البلاغة فن قولي يركز على الموهبة وصفاء الاستعداد ودقة إدراك الجمال ، وتبيين الفروق الخفية بين شتى الأساليب.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشير إلى عنصر هام يتعلق بطالب البلاغة وما يجب أن يتحلّى به من صفات: من قراءة عميقة لروائع الأدب، وحفظ ما يستجيده منه ، ومران على التعبير من وقت لآخر عن بعض ما يجول في خاطر وما تحيش به النفس. ولا شك أن تضافر هذين الأمرين معاً يعينان على تربية الذوق الأدبي وتكوينه.

رأينا في ما تقدم صورة عامة عن البلاغة، أما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها ، ومقتضى الحال مختلف تبعاً لتفاوت مقامات الكلام ، فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم ، والذكر يباين عكسه من التعريف ، والتقصير ، والتأخير ، والحذف ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب ومقام المساواة . وللبلاغة طرفان : "طرف أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه ، وطرف أسفل وهو ما إذا غُير الكلام عنه إلى ما دونه التحقق عند البلغاء بأصوات الحيوانات . وبين هذين الطرفين مراتب كثيرة " 3

1- ابن رشيق القيرواني "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" ص426.

2- المصدر نفسه، ص426_427.

3- عبد العزيز عتيق "علم المعاني" ص07.

بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها التي هي التعبير والإبلاغ وهي شاملة لعنصري اللغة : المعنى واللفظ .

— بين الفصاحة والبلاغة :

الفصاحة في اللغة تعني الظهور والإبانة فهي من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، والدليل على ذلك قول العرب : أفصح الصبح إذا ظهر وأضاء . وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر . ويوم مفصح وفصح لا غيم فيه ولا وقر، وأفصح الأعجمي بالعربية ، وفصح لسانه بها إذا خلصت لغته من اللكنة ، وفصح اللحن إذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ . وفي التنزيل يقول تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ

رَدًّا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ١.

وقد انقسم البلاغيون في اصطلاح البلاغة فريقان :

— فالمتقدمون كالإمام عبد القاهر الجرجاني ومن سار على نهجه يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي معاني النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها . وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله : "فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم " 2.

وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز : " وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما " 3.

1— الآية 34 من سورة القصص .

2— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " اعتناء : علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005م ، ص 35.

3— الفخر الرازي " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار الجليل ، بيروت ، ط 1 ، 1992م ، ص 37.

أما المتأخرون كأبي يوسف السكاكي وابن الأثير ومن لفّ لفهما يرون إخراج الفصاحة من كنف البلاغة، فلكل منهما مجاله الخاص. ويجعلون الفصاحة لا تتحقق إلا بسلامتها من أربعة عيوب :
1. تنافر الحروف : تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها ، مثل لفظة " مستشزرات " من قول امرئ القيس :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعِقَاصَ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ الطويل 1.

2. غرابة اللفظ : وهي أن تكون الكلمة غريبة المعنى غير مألوفة الاستعمال عند فصحاء العرب كما في قول العجاج:

وَفَاحِمًا وَمَرَسِينًا مُسَرَّجًا

"فالفاحم هنا الأسود ، وأراد به الشاعر شعراً أسود فاحماً ، والمرسن الأنف الذي يشد بالرسن ثم استعير لأنف الإنسان ، أما مسرجا هي اللفظة الغريبة هنا فمختلف في تخريجها ، فقليل من سرّجه تسريجا ، أي حسنه وبهجّه ، وقيل من قولهم : سيوف سريجية منسوبة إلى حداد يقال له سريج. فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجي في الدقة والاستواء ، وقيل من السراج وهو قريب من قولهم : سرج وجهه بكسر الراء أي حسن ، وسرّج الله وجهه وبهجّه وحسنه" . 2
و البلاغيون إذ ينكرون الألفاظ الغريبة التي لم يألّفها السامع أو يعرف دلالتها المعنوية الخاصة . فلائها تعمل على إغلاق النص وإيهامه .

إلا أنهم يؤكّدون على وجوب عدم ابتذالها . يقول الجاحظ : "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاماً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً، فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي

1- "ديوان امرئ القيس " دار صادر ، بيروت لبنان ، ص44.

2- أبو هلال العسكري " الصناعتين (الكتابة والشعر) " تحقيق: الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 1981م، ص52.

، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات " 1.

3. مخالفة القياس: مثل لفظة الأجل التي وردت في بيت من أرجوزة طويلة لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي ، أحد رجاز الإسلام والتي منها :

الحمد لله العلي الأجل

فالشاهد هنا هو مخالفة القياس في قوله "الأجل" إذ القياس الأجل بالإدغام.

4. الكراهة في السمع: وهي أن تمج الكلمة الأسماع، وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظها ، ذلك لأن لجرس الكلمة ووقع تأليف أصوات حروفها على الأذن دوراً هاماً في إثارة الانفعالات الخاصة المناسبة . فقد عيب على أبي الطيب المتنبي لفظة "الجِرْشِي" للدلالة على النفس في قوله:

مُبَارَكُ الْإِسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الْجِرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ 2 المتقارب

لأن نفس السامع كما يقول ابن سنان الخفاجي (466هـ) : "فإنك تجد في الجرشي تأليفا يكرهه السمع وينبو عنه " 3.

هذا فيما يتعلق بفصاحة اللفظ أو المفرد ، أما فصاحة الكلام أو التركيب فتتمثل في خلوصه وسلامته من أربعة أمور هي :

1) ضعف التأليف : هو أن يخرج الكلام عن قواعد اللغة المطردة كرجوع الضمير على متأخر

لفظاً ورتبة في قول حسان بن ثابت :

فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الْيَوْمَ وَاحِداً مِّنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعِماً 4 الطويل

فالضمير في " مجده " يعود إلى مطعمما وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت وفي الرتبة لأنه مفعول به ، ورتبة المفعول به متأخرة على رتبة الفاعل . فالبيت لهذا غير فصيح.

1- الجاحظ "البيان والتبيين" تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ، ج 1 ، ص 144.

2- " شرح ديوان المتنبي " شرح: عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة نزار مصطفى البار، الرياض، مكة المكرمة 2002م، ط1، ج1، ص172.

3- ابن سنان الخفاجي " سر الفصاحة " شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، طبع محمد علي صبيح، ص 56.

4- " ديوان حسان بن ثابت " دار صادر ، بيروت ص 220.

(2) تنافر الكلمات : ويعني أن يسبب اتصال بعض ألفاظ الكلام ببعض ثقلا على السمع وصعوبة في النطق بها، لأن النطق بالحروف المتقاربة في مخارجها أشبه بالمشي المقيد ومثال ذلك قول أبي تمام من قصيدة له يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَمَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي 1 الطويل

فالتنافر هنا ولده ما في قوله " أمدحه " من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء ، لأن مخارج الحروف كلما قربت كانت الألفاظ قلقة وغير مستقرة في أماكنها، وإذا بعدت كانت بعكس الأول.

وفي هذا الصدد يقول حازم القرطاجني (684هـ) : " و التلاؤم يقع في الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه حقه و تشاكل " 2.

(3) التعقيد اللفظي : يشترط في فصاحة الكلام أو التركيب أن يسلم من التعقيد اللفظي الذي يترتب عليه خفاء الدلالة على المعنى المراد في الكلام بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية، أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض . ومن ذلك قول الفرزدق من قصيدة يمدح بها إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه الطويل

فيرون أنه لم يذهب برونق هذا البيت ويفقده قيمته وقدرته في التأثير والإثارة ، إلا كون ترتيب ألفاظه قد جاء على ترتيب معانيها ووجودها الذهني مما أحدث إبهاما في المعنى أفقده قيمته وكان على الشاعر حتى يحقق الوضوح في الدلالة على المعنى الذاتي الذي يريد نقله ، أن يرتب ألفاظه حسب ترتيبها الذهني فيقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه، وإن المتلقي

1- " ديوان أبي تمام " تقديم وشرح : الدكتور محي الدين صبحي ، المجلد الأول ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، 1997م ص291.

2- حازم القرطاجني " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ، 1966م، ص222.

يشعر أن الشاعر قد تكلف التعقيد تكلفاً خالف به سجية نفسه "وطبعها في الاسترسال ، لم يعرض له شيء من هذا التعقيد "1.

4) التعقيد المعنوي: يشترط في فصاحة الكلام أن يسلم من التعقيد وهو استعمال الكلمات عند إرادة التعبير عن معنى خاص في غير معانيها الحقيقية وبذلك يضطرب التعبير ويصعب الوصول إلى المعنى المراد ومن الشواهد على ذلك قول العباس بن الأحنف :

سأطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا الطويل

فالمعنى الذي قصد الشاعر التعبير عنه في هذا البيت هو : أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا ، إذ من عادة الزمان الإتيان بضد المراد فإذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب ، وكذلك أطلب الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل السرور بما هو من عادة الزمان. فالشاعر أراد هنا أن يكنى عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود هو خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر وقد أخطأ الشاعر في مراده إذ جمود العين هو خلوها من الدموع أو بخلها بالدمع الذي هو لازم البكاء عند إرادة البكاء منها .

إذن فالجمود لا يكون كناية عن السرور بل عن البخل ، وبهذا يكون الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع ، لا إلى ما قصده الشاعر من السرور .

فالشاعر كما نرى استعمل الكلمات في غير معانيها الحقيقية أو بعبارة أخرى لم يكن موفقاً في اختيار الكلمات المعبرة عن معناها تعبيراً جلياً واضحاً ومن ثم عقد المعنى أو وقع في التعقيد المعنوي الذي أدخل بفصاحة البيت .

— عوامل نشأة البلاغة :

أ. الشعر : إن الدارس للشعر العربي ليتولاه العجب من تملك عرب الجاهلية لناصرية القول ، ومن تفننهم في التعبير عن أفكارهم وخواطهم إلى درجة تشهد لهم بعلو المكانة في عالم الفصاحة والبلاغة.

1— ابن الأثير " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، 1990، ج2، ص229.

فقد كان وسيلتهم التي خلدوا بها مآثرهم وصوروا حياتهم وما جدّ فيها من أحداثٍ جسام ورافداً لعلومهم وهذا ما يؤكده ابن خلدون (تـ 808هـ) في قوله: "واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكاتهم كلها".¹

وللشاعر عند العرب مكانة مرموقة في السلم الاجتماعي باعتباره يمتلك قدرات خارقة لا يمتلكها غيره من الناس من فطنة وتطلع إلى الغيب ، وإقامة علاقات مع عالم الجن والشياطين . وقد كان الشاعر ثاقب الفكر واسع الأفق يقدم أحكاماً نقدية معلة وغير معلة . كانت هذه الأحكام بمثابة الحجر الأساس للعمل النقدي والبلاغي ومما ترويه كتب الأدب عن بداية الوعي بضرورة انطلاق الأحكام من الشعر والنظر في لغته ما كان عن النابغة الذبياني وقد حكمته العرب بين الشعراء لنبوغة ونباهته ، وما كان له مع حسان بن ثابت عندما لم يرض هذا الأخير بحكمه وتناول عليه مدعياً أنه أشعر منه ومن الخنساء ، حين فضل عليه النابغة الأعشى وفضل الخنساء على بنات جنسها ، فثارت ثائرة حسان قائلاً للنابغة : "أنا أشعر منك ومن أبيك " فقال له النابغة حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمَ بَنًا خَالًا وَأَكْرَمَ بَنًا ابْنَمَا 2 الطويل

فقال له النابغة : " إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . وفي رواية أخرى : فقال له : إنك قلت الجففات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت يلمعن في الضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف في الليل أكثر طروقاً ، وقلت : يقطرن من نجدة دما ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت يجرين لكان أكثر

1- ابن خلدون " المقدمة " دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت لبنان ص 1056_1057.

2- " ديوان حسان بن ثابت " دار صادر ، بيروت ، ص 220_221

لأنصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، فقام حسان بن ثابت منكسرا منقطعا " 1. ثم تفتن بعض الشعراء إلى ضرورة تعهد الصياغة الفنية وتنقيح الشعر وتهذيبه ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى و الحطيئة .

حيث يقول الجاحظ: "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعاعلى نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوّل الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات، والمقلّدات ،و المنقّحات، والمحكمات ، ليصير قائلها فحلا خنديداً وشاعرا مُفلّقا " 2.

وهناك روايات أخرى تدل على أن العرب تجاوزا مرحلة التذوق والانفعال إلى ربط البراعة في قرض الشعر بالبراعة في صياغة الصورة الفنية. ويروي الجاحظ أن عبد الرحمن بن حسان الأنصاري قال وهو صغير :

الله يعلمُ أني كنت مشغلاً في دار حسانَ أبطأُ اليعاسيا البسيط
وقال لأبيه وهو صبي — ورجع إليه وهو يكي — ويقول : لسعني طائرٌ ! قال : فصفه لي يا بني قال :
كأنه ثوب حبرة . قال حسان : قال ابني الشعر ورب الكعبة " 3.

أما في العصور المتأخرة اهتم اللغويون والنحاة بالشعر للصلة الوثيقة بين النشاط اللغوي والعمل النقدي باعتبارهم أول من شارك مشاركة جادة في إقرار جملة من المقاييس التي يقوم عليها ، ومن ثم أصبح الطابع اللغوي السمة الغالبة على النقد العربي طوال القرن الثاني وبداية القرن الثالث . وأبرز من يمثل هذا الاتجاه أبو عمرو بن العلاء و ابن الأعرابي والأصمعي الذين كانوا أطرافا هامة فيما جدّ من صراع بين القدامى والمحدثين . حيث تصدوا إلى تيارات التجديد، ودافعوا

1— د/شوقي ضيف " البلاغة تطور وتاريخ " دار المعارف ، مصر ، ط11، ص11.

2— الجاحظ " البيان والتبيين " ج2، ص9 .

3— الجاحظ " الحيوان " تحقيق:عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، 1996م، ج5، ص65.

عن الذوق العربي القديم والصيغة الشعرية وأقروا المبادئ التي تقوم عليها فحولة الشعراء وعلى أساس ذلك فسروا موقفهم من المولدين : " ولم أر غاية النحويين إلا كلّ شعر فيه إعراب ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كلّ شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ولولا أن أكون عيابا ثم للعلماء خاصة ، لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة ، ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة " 1 .

ويلاحظ مما تقدم أن الأمر لم يقف عند هذا الحد فلقد أسهم اللغويون والنحاة في تشكيل الذوق الأدبي عند العرب بصفة عامة وسرى مفعول ذلك إلى وقت متأخر جدا وصل إلى مشارف القرن السادس وذلك على مستويين على الأقل :

المستوى الأول في ضرورة النسج على منهج القدماء انطلاقا من تحديدهم للفصاحة والتفوق ، وربط ذلك جغرافيا بالقبائل التي لم تدخل لغتها العجمة والفساد، وتاريخيا بحدود النصف الأول من القرن الثاني .

المستوى الثاني الذي يبرز فيه تأثيرهم العميق في الذوق العربي فيتمثل في الأهمية البالغة التي حظي بها التشبيه كقسم من أقسام الصورة الفنية في تاريخ البلاغة والنقد .

ب. القرآن الكريم :

إن القرآن هو كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته . وقد أنزله الله في بيئة العرب التي خصها الله بالبلاغة والحكم ما لم يخص بها غيرها . ووهب العرب فصاحة اللسان ، وقوة البيان ، فكانت لهم الحجة البالغة والقوة الدامغة، وتفننوا في القول ، ومع ذلك أحرص القرآن فصحاءهم وأسكت بلغاءهم، وأذهل عقلاءهم ، فوقفوا أمامه مبهورين متحيرين ، وعجزوا على أن يأتوا بمثله أو سورة من مثله أو حتى بعشر سور مفتریات .

1— الجاحظ " البيان والتبيين " تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل .

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْثَرَهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنْ

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ١ .

فأدعنوا ولم يعارضوا . ولم تستطع ردود الفعل الأولى الرافضة لهذه الرسالة بكثير من العنف ، إلا أن تقرر بخصائصه الأسلوبية المتميزة . فغدا بعد ذلك القرآن المعين الذي تدور حوله الجهود الفكرية والعقائدية للمسلمين . إلا أن أهم جانب فيه ساعد على ظهور التفكير البلاغي هو الجانب المتصل بقضية إعجازه .

وكان علماء المعتزلة أكثر المثيرين للكلام في قضية الإعجاز ، فقالت المعتزلة إلا النظام وهشاماً الغوطي وعباد بن سليمان : " تأليف القرآن ونظمه معجز ، محال وقوعه منهم ، كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وإنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم " . وقال النظام : " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم " وقال هشام وعباد : " لا نقول : إن شيئاً من الأعراض يدل على الله سبحانه ، ولا نقول أيضاً : إن عرضاً يدل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعل القرآن علماً للنبي صلى الله عليه وسلم وزعماً أن القرآن أعراض " 2 ، " وذهب الجاحظ إلى أن القرآن معجز بنظمه وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه " إضافة إلى إعجابه بالصرفة . وقد ألف كتاباً سماه (نظم القرآن) 3 .

وجملة القول إن رأي النظام قد دفع علماء المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم إلى الخوض في مسائل تنصب على خصائص النص القرآني لغة وتراكيباً . مما سيكون عظيم الفائدة بالنسبة للمباحث البلاغية وسيخلق نهجاً من التأليف يكون رافداً من روافدها العظيمة و ليس من المبالغة

1— الآية 13 من سورة هود.

2— أبو الحسن الأشعري "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ط2 ، 1980م ، ج 1 ، ص 225.

3— ابن النديم " الفهرست " ج 1 ، ص 64.

في شيء أن نقول إن الدراسات التي تحركت من هذا المنطلق العقائدي أثرت " نظرية النظم " التي تعد بإجماع الباحثين أهم نظرية في تراثنا البلاغي .

وقد واجهت المفسرين مشكلة المجاز القرآني فاجتهدوا في تأويلها بدون أن تطرح القضية كمبحث لغوي أصلي ، وبذلك وجد المعتزلة من مهد أمامهم الطريق لإثبات ضرورة القول بالمجاز . والجاحظ يرد على الذين يأخذون بظاهر اللفظ من خلال تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

1. ﴿ ٨٢ ﴾

وكان عبد الله بن عباس يقول: ليس يعني بقوله : تكلمهم من الكلام ، وإنما هو من الكلم و الجراح، وجمع الكلم كلوم، ولم يكن يجعله من المنطق، بل يجعله من الخطوط و الوسم، كالكتاب والعلامة الذين يقومون مقام الكلام والمنطق ، وقال الآخرون : لا ندع ظاهر اللفظ والعادة الدالة في ظاهر الكلام إلى المجازات، قالوا : فقد ذكر الله الدابة بالمنطق ، كما ذكروا في الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس ، وقول الهدهد مسطور في الكتاب بأطول الأقايصص وكذلك شأن الغراب " . 2 وحرى بنا أن نشير إلى أن أبا عبيدة (تـ 210هـ) له فضل السبق في استعمال هذا المصطلح في كتابه " مجاز القرآن " إلا أن مفهوم المجاز عنده لم يدل على المفهوم اللغوي لقسيم الحقيقة بل بقي عاما تتحدد به مدلولات متعددة . ثم جاء خلفه بن قتيبة ليعرف المجاز قائلا : "وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول وماأخذه.ففيها :

الاستعارة والتمثيل، والقلب والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار ، والإخفاء، والإظهار، والتعريض

1- الآية 82 من سورة النمل .

2- الجاحظ " الحيوان " ج 1 ، ص 50.

والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، ولفظ العموم لمعنى الخصوص".¹ ولما رفض المعتزلة أن يعامل النص القرآني معاملة الحديث "متنه وسنده " كان لابد من حل يوفقون به بين احترام قداسة النص وبين مبادئهم التي قامت على "أدلة العقول " . فقالوا باللغة في الظاهر والباطن . وعلى ضوء ذلك خصّ الزمخشري علمي المعاني والبيان بالدراسة و جعلهما علمين مختصين بالقرآن . ولعل هذا سبب تسميته لكتابه في التفسير " الكشاف "

ولم يكن المعتزلة هم وحدهم القائلون بالمجاز فلقد وافقهم على ذلك الجمهور من المسلمين سنة كانوا أو أشاعرة ، وبذلك شاركوا إلى جانبهم مشاركة أساسية في تطوير هذا المبحث . وخلاصة القول إن القرآن يعتبر من العوامل الأساسية التي ساهمت في انطلاق الدراسات البلاغية ، وكانت الأبحاث التي أقيمت حوله أرضا خصبة صالحة لبروز مثل هذا التفكير .

ج. تقعيد اللغة :

اكتست حركة جمع اللغة وتقعيدها عند العرب، أهمية خاصة لما أُلِّمَ بها من ظروف ساعدت على ربط الصلة بين العمل النحوي والتفكير البلاغي ودفعت اللغويين إلى التعرض إلى جملة من المسائل ألحقت في وقت متأخر بالبلاغة بينما كانت في مؤلفاتهم شديدة الصلة بالنحو ممتزجة به. ولا شك أن إدراجهم القرآن والشعر في عداد المصادر اللغوية قد نبههم إلى بعض خصائصهما النوعية ، ودفعهم في نطاق مشاغلهم النحوية ، إلى جملة من الملاحظات البلاغية المفيدة خاصة أنهما يخرجان عن معهود الكلام ويستعملان اللغة استعمالا خاصا لمقاصد فنية واضحة ، مما أدى إلى امتزاج المبادئ الكلية المرتبطة بالاستعمال الفصيح بالخصائص النوعية للقرآن والشعر. ثم إن علماء اللغة كانوا من أوائل من تفتن إلى بعض خصائص الشعر و لكنهم وقفوا عند الشكل

1— ابن قتيبة " تأويل مشكل القرآن " تحقيق: السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 2006م، ص20.

الخارجي وما يفرضه على الشاعر من ضرورات لغوية .

ورغم أن غايتهم من دراسة اللغة لا تعدو استخراج قواعدها ، وضبط النواميس التي تتحكم في أوجه استعمالها، والبحث عن بنية نظرية وهيكل عام تدرج ضمنها تلك المادة الضخمة ، وتنسجم في إطارها أقسامها على أسس تحقق تطابق مقولاتها مع مقولات العقل والمنطق . 1

فإنهم بحكم ارتباط هذه المشاغل بغايات دينية كالاحتجاج للغة القرآن، وبيان أنها النموذج الأسمى لهذه اللغة ، ولأنهم مسلمين يعينهم من القرآن القضايا العقائدية التي أثرت حول بنيته ، ساهموا في إثارة بعض المسائل البلاغية. وكانت مؤلفاتهم صدى لما يدور في البيئة العربية من مناقشات حول القرآن . " فشاركوا في مناقشة قضية اللفظ والمعنى ونظروا في مختلف المقاييس التي تنظم العلاقة بينهما ، وعبروا عن رأيهم في أهمية كل واحد منها وفضله على الآخر " . 2

كما خاضوا في مستويات الدلالة فبحثوا في فرق ما بين الحقيقة والمجاز ، حيث يقول ابن جني : " الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان بضد ذلك ، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة " . 3

ولم تقف مساهمة اللغويين في بلورة المسائل البلاغية عند هذا الحد نظراً لارتباطها الوثيق بالنحو فخاضوا في دلالات التركيب ووقفوا في ذلك على جملة من القوانين الهامة بطريقة تدعو إلى الإعجاب أحياناً، وعندهم نجد بذور ما يسمى اليوم بعلم المعاني السياقي، كما تفتنوا إلى تعدد عناصر الدلالة ونيابة بعضها عن بعض.

1— سيبويه " الكتاب " تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1991 م، ج1 ، ص26 .

2— ابن جني " الخصائص " تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، ج1، ص225.

3— ابن جني " الخصائص " تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، ج2، ص442.

ويتبين من خلال عرضنا لعوامل نشأة البلاغة العربية أن بذورها وجدت في العصر الجاهلي، ونماها الإسلام بالبحث والجدل حول القرآن وإعجازه ، وتذوق بلاغته ، كما نماها ظهور الفرق الإسلامية المتعددة ، هذه الفرق التي راحت تعنى بالبلاغة وفنونها للاستعانة بها والإفادة منها في الاستدلال والبرهنة على آرائها وأفكارها الخاصة . وهذا ما يؤيده عبد العزيز عتيق في قوله: " ظلت البلاغة في دور نشأتها على الإجمال عربية خالصة ، تستمد عناصر مقوماتها من الثقافة العربية وما يتصل بها . وإذا كان قد تسرب إليها بعض عناصر بلاغية أجنبية، من بلاغة الهند والفرس واليونان فإن ذلك كان في الأدوار التي تلت دور نشأتها وخاصة في العصر العباسي ، عندما أخذت حركة النقل والترجمة تنشط على نطاق واسع برعاية الخلفاء العباسيين من أمثال أبي جعفر المنصور والرشيد والمأمون "1.

1— عبد العزيز عتيق " تاريخ البلاغة العربية " دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، ص50.

الفصل الثاني

الدرس النحوي عند عبد القاهر الجرجاني .

1. تشكيل الجملة في اللغة العربية.

— حدود النحو و تعريفه.

— الإسناد في اللغة العربية.

— الإسناد لغة واصطلاحاً .

أ . جملة المبتدأ والخبر:

ب . جملة الفعل والفاعل:

2. التشكيل الأساسي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني:

— نبذة عن حياة عبد القاهر الجرجاني.

— النحو عند عبد القاهر الجرجاني.

— الجملة عند عبد القاهر الجرجاني .

أولاً : جملة المبتدأ والخبر:

• الإثبات.

• النفي.

• الاستفهام.

ثانياً : جملة الفعل و الفاعل:

• الإثبات.

• النفي .

• الاستفهام.

3. التشكيل الفرعي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني:

• التقديم والتأخير.

• الحذف.

1. تشكيل الجملة في اللغة العربية :

— حدود النحو وتعريفه:

للنحو حدود شتى منها تعريف ابن جني (392) : " انتحاء سمت كلام العرب ، وتصرفه من إعراب وغيره، كالثنية والجمع، والتحقيق، والتكسير ، والإضافة ، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة . وأصله مصدر نحوْتُ بمعنى قصدتُ، ثم خُصَّ به انتحاء هذا القبيل من العلم ، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهْتُ بمعنى فهمت ، ثم خُصَّ به علم الشريعة "1. وقال صاحب المستوفى : " النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتُعرف النسبة بين صيغة النظم ، وصورة المعنى فيُتوصل بإحدهما إلى الأخرى". وقال الخضرأوي: "النحو علم بأقيسة تغير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب". وقال ابن عصفور : " النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أجزائه التي أتلف منها " .

وقال ابن السراج(316هـ) في الأصول: "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب"2. ولعل أهم التعريفات المتداولة اليوم في أوساط الدارسين للغة " أن الإعراب (وهو ما يعرف اليوم بالنحو) علم بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، أي من حيث ما يتعرض لها في حال تركيبها، وبه نعرف ما يجب عليه أن يكون آخر الكلمة من رفع، أو نصب ، أو جر أو جزم ، أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة " 3 .

1- ابن جني " الخصائص " ج 1 ، ص 34.

2- ابن السراج، أبوبكر محمد بن سهل النحوي البغدادي "الأصول في النحو" تحقيق: عبد الحسين الفتلي، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4 ، 1999م، ج1، ص 35.

3- مصطفى الغلاييني " جامع الدروس العربية " دار الحديث ، القاهرة، 2005م، ج1، ص 08.

انطلاقاً من هذه التعريفات يبدو أن النحاة حين قصرُوا النحو على أواخر الكلمات وعلى معرفة أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة وسلكوا به طريقاً منحرفاً إلى غاية قاصرة، وضيعوا كثيراً من أحكام نظم الكلم، وأسرار تأليف العبارة، فطرق الإثبات والنفي والتوقيت، والتقديم، والتأخير، وغيرها من صور الكلام، قد مروا بها من غير درس إلا ما كان ماساً بالإعراب أو متصلاً بأحكامه، وفاتهم لذلك كثير من فقه العربية وتقدير أساليبها.

— الإسناد في اللغة العربية :

يقوم الكلام في اللغة العربية على علاقة الإسناد القائمة بين طرفي الجملة الأساسيين : المسند والمسند إليه. إضافة إلى ما يتم المعنى ويوضحه من مفعول به وحال ومضاف إليه.

الإسناد لغة: الإسناد بمعنى ضم الشيء إلى شيء. جاء في تاج العروس : " المسند هو ما ارتفع من الأرض قبل الجبل أو الوادي " . 1 و"الجمع منه الإسناد وليس : كذلك فإن كل شيء تسنده إلى شيء آخر سمي مسنداً وهو أيضاً خط لِحَمِيرٍ مخالف لخطنا هكذا كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم " . 2 و"الفعل منه سند إلى الشيء يسند سنود واستند وتساند وأسند واسند غيره " . 3 "فقولنا ساندته إلى الشيء : فهو إذن يساند إليه ، وأي أسندته إليه ، وأسند كذلك : رقي " . 4 و"المسند والسند : الدعي " . 5 "ويقول أسند في العدو: اشتد " . 6 و"أسند الحديث: رفعه " . 7 ومن خلال هذه التعريفات يتضح أن الإسناد علاقة لزومية بين شيئين تتوقف هوية الواحد منها على الثاني .

1— الزبيدي "تاج العروس" تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطرح ، ج 8 ، ص 228.

2— ابن منظور " لسان العرب " دار صادر ، بيروت ، ط 3 ، 2004م ، ج 7 ، ص 272.

3— المصدر نفسه ، ص 221.

4— المصدر نفسه ، ص 223.

5— المصدر نفسه ، ص 224.

6— محمد الزبيدي " تاج العروس " ج 8 ، ص 225.

7— المصدر نفسه ، ص 226.

الإسناد اصطلاحاً : هو ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة وعلى وجه يحسن السكوت عليه .

و الإسناد هو بأنه اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية .

تتكون الجملة العربية من ركنين أساسيين " المسند والمسند إليه ، وقد وضع سيبويه المقصود بالمسند والمسند إليه بقوله : " وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ومثل ذلك يذهب عبد الله. فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء " 1.

إذن فالمسند والمسند إليه يوجدان إما في جملة الفعل والفاعل أو في جملة المبتدأ والخبر. وعلى هذا الأساس تنقسم الجملة في اللغة العربية على قسمين :

— جملة المبتدأ والخبر .

— جملة الفعل والفاعل .

" والإسناد في اللغة العربية يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين المسند والمسند إليه دون التصريح بالعلاقة بينهما نطقاً أو كتابة، فأساس اللغة لا يقوم على ما تحتويه من كلمات، وإنما يقوم على تركيبها الخاص . فالجملة في العربية لا تقوم إلا على أساس إسنادي، فجملة المبتدأ والخبر (مسند ومسند إليه) وجملة الفعل والفاعل أو نائبه (مسند و مسند إليه) وكل واحد من الركنين عمدة " 3 .

1- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سبويه) " الكتاب " تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ، الطبعة الأولى 1991م ،

ج1، ص134

2- المصدر نفسه، ص23

3- د/صالح بلعيد"التركيب النحوي وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994، ص102.

ومن باب التأصيل العلمي أن نفرق أولاً بين الكلام والجملة. فهناك اتجاهان في نظر النحاة لتوضيح العلاقة بين الكلام والجملة. فمنهم من لا يفرق بينهما. ويجعل الكلام هو الجملة المستقلة بنفسها عن غيرها وعلى رأس هؤلاء صاحب الكتاب "سيبويه" وتبعه في ذلك ابن جني وابن مالك. "فابن جني يرى أن الكلام والجملة مترادفان، وأنها ما يؤدي معنى مفيداً مستقلاً بنفسه، أما ما لا يؤدي معنى مستقلاً بنفسه فسماه قولاً، إذ القول لديه أعم من الكلام، فالكلمات المفردة و المركبات التي لم تتضمن معنى مستقلاً لا تسمى كلاماً بل تسمى قولاً". 1

أما أصحاب الاتجاه الثاني من النحويين فيفرقون بين الكلام والجملة ومنهم "ابن هشام" الذي يوضح ذلك بقوله: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ والخبر كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضرب اللص، و أقائم الزيدان وكان زيد قائماً، وظننته قائماً ولهذا يظهر لك أنهما ليس بمترادفين كما توهمه كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب الفصل 2.

وللإسناد في العربية أحكام خاصة سواء ما تعلق بجملة المبتدأ والخبر أو جملة الفعل والفاعل.

أ. جملة المبتدأ والخبر :

يقول ابن يعيش: "اعلم أن المبتدأ كل اسم ابتدأت به وجردته من العوامل اللفظية بالإخبار عنه ... وإنما يشترط أن يكون مجرداً من العوامل اللفظية لأن المبتدأ شرطه أن يكون مرفوعاً ... اعلم أن أصل المبتدأ أن يكون معرفة، وأصل الخبر أن يكون نكرة وذلك لأن الغرض في الإخبارات

1- محمد إبراهيم عبادة " الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية) " منشأة المعارف الاسكندرية ، بدون تاريخ ص28-29.

2- جمال الدين بن هشام الأنصاري " مغني اللبيب عن كتب الأعراب " المجلد الثاني ، تحقيق : د/ صلاح عبد العزيز علي السيد ، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الأولى 2004م ، ص505.

لإفادة المخاطب ما ليس عنده ، وتنزله منزلتك في علم ذلك الخبر والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه ، ألا ترى أنك لو قلت : رجل قائم أو رجل عالم لم يكن في هذا الكلام فائدة ... فإذا اجتمع معك معرفة ونكرة فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ ، وأن يكون الخبر النكرة لأنك إذا ابتدأت الاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت فانتظر الذي لا يعلمه ، فإذا قلت : قائم أو حكيم فقد أعلمته بمثل ما علمت مما لم يكن يعلمه حتى يشاركك في العلم ... فالمعرفة والنكرة بالنسبة إلى المخاطب كذلك لذلك قال الزمخشري : المبتدأ على نوعين : معرفة وهو القياس ، ونكرة إما موصوفة كالتى في قوله عز وجل : ولعبد مؤمن وإما غير موصوفة كالتى في قوله : أرجل في الدار أم امرأة " 1.

وهناك تعريف آخر للمبتدأ أورده عباس حسن بقوله : " المبتدأ القياسي اسم مرفوع في أول جملة مجرد من العوامل اللفظية الأصلية محكوم عليه بأمر ، وقد يكون وصفا مستغنيا بمرفوعه في الإفادة وإتمام الجملة ، ويقسم إلى قسمين ، قسم يحتاج إلى خبر حتما ، وقد يتحتم أيضا أن يكون هذا الخبر جملة أو شبهها ، وقسم لا يحتاج إلى خبر ، وإنما يحتاج إلى مرفوع بعده يعرب فاعلا أو نائب فاعل ، ولا بد في هذا القسم أن يكون وصفا منكرًا ، وأن يكون رافعا لاسم بعده ، يتمم المعنى ، فإن لم يتمم المعنى لم يعرب الوصف مبتدأ مستغنيا بمرفوعه ، والأكثر في الوصف الواقع مبتدأ أن يعتمد على نفي أو استفهام (ما حضر والده) ويجوز ألا يسبقه شيء منهما (نافع أعمال المخلصين) . كما أنه لا فرق بين أن يكون المبتدأ اسما صريحا ، أو يكون اسما بالتأويل " 2.

وانطلاقا من التعريفين السابقين يتضح أن للمسند والمسند إليه في جملة المبتدأ والخبر أحكاما نلخصها فيما يأتي :

1- ابن يعيش، موفق الدين يعيش " شرح المفصل " لبنان، بيروت، دار صادر، (دت) ، ج1، ص83-87.

2- عباس حسن " النحو الوافي " دار المعارف، القاهرة، ط5 ، ص442.

أولاً : المسند إليه (المبتدأ)

● أحكام المبتدأ:

— المبتدأ اسم أو بمنزله مجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة وشبهها . مخبر عنه أو وصف رافع لما يستغنى به. 1.

— سمي المبتدأ مبتدأً لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى لا لأنه منطوق به أولاً . 2

— وجوب رفعه وقد يجر بالباء أو من الزائدين ، أو برّب التي هي حرف جر شبهه بالزائد. 3 فالأول

نحو " بحسبك الله " . والثاني نحو ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَلْقٍ

غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَآَنِي ۚ تُؤَفَّكُونَ ۚ ﴾ 4.

والثالث نحو : " يا ربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة " .

— الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة ، لا نكرة ؛ لأن النكرة مجهولة غالباً ، والحكم على المجهول لا

يفيد " 5. ويجوز أن يكون نكرة إن كان عاماً أو خاصاً ؛ فالأول كقولك : ما رجل في الدار، والثاني

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ

وَلَوْ أَعَبَّ بَتَّكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ

وَلَوْ أَعَبَّ بَتَّكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ

1— صبيح التميمي "هداية السالك إلى ألفية بن مالك" دار البعث، قسنطينة، 1990م ، ج 2 ، ص 09.

2— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز في علم المعاني " ص 146.

3— مصطفى الغلاييني "جامع الدروس العربية" ج 2، ص 369.

4— الآية 03 من سورة فاطر.

5— ابن هشام الأنصاري " شرح قطر الندى وبل الصدى " تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر، مصر ، ص 161.

وَالْمَغْفِرَةَ بِإِذْنِهِ ^ط وَيُبَيِّنُ ^ط آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ 1.

وللافتداء بالنكرة مسوغات نورها كما أوردها الغلاييني في مصنفه جامع الدروس العربية :
تكون النكرة مفيدة بأحد أربعة عشر شرطاً:

1. بالإضافة لفظاً نحو : " خمس صلوات كتبهن الله " أو معنى " كل يموت "
2. بالوصف لفظاً ، نحو : " لعبد مؤمن خير من عبد مشرك " أو تقديرها نحو : " أمر أتى بك " أي أمر عظيم ، أو معنى : بأن تكون مصغرة نحو : " رجيل عندنا " أي رجل حقير ، لأن التصغير فيه معنى الوصف.

3. بأن يكون خبرها ظرفاً أو جاراً ومجروراً متقدماً عليها، نحو : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

﴿٧٦﴾ 2

4. بأن تقع بعد نفي، أو استفهام، أو لولا، أو إذا الفجائية، فالأول نحو : " ما أحد عندنا " ، والثاني نحو : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهِهُ مَعَ اللَّهِ ^ج بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ 3. ، والثالث كقول الشاعر :

لَوْ لَا اصْطَبَارٌ لِّأَوْدَى كُلِّ ذِي مِقَّةٍ لِّمَّا اسْتَقَلَّتْ مَطَايَاهُنَّ لِلظَّنِّ البسيط

1- الآية 221 من سورة البقرة.

2- الآية 76 من سورة يوسف .

3- الآية 61 من سورة النمل .

والرابع نحو: "خرجت فإذا أسد رابض " .

5. بأن تكون عاملة نحو: "إعطاء قرشاً في سبيل العلم ينهض بالأمة".

6. بأن تكون مبهمة كأسماء الشرط ، والاستفهام ، و ما التعجبية ، وكم الخبرية، فالأول نحو: " من يجتهد يفلح " ، والثاني نحو: " من مجتهد؟" والثالث نحو: " ما أحسن العلم ! والرابع نحو: " كم مآثرة لك".

7. بأن تكون مفيدة للدعاء بخير أو شر، فالأول نحو: " سلام عليكم " والثاني نحو: ﴿ وَيَلُّوْاْ ﴾

لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ . 1

8. بأن تكون خلفاً عن موصوف نحو: " عالم خير من جاهل".

9. أن تقع صدر جملة حالية مرتبطة بواو أو بدونها ، فالأول كقول الشاعر :

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا محيّاك أضحى ضوءه كل شارق

الطويل

والثاني كقول الشاعر :

الذئب يطرقها في الدهر واحدة وكل يوم تراني مُدِيَّةً بيدي

البسيط

10. بأن يراد بها التنويع ، أي التفصيل والتقسيم ، كقول امرئ القيس :

فلما دنوت تسديتها فثوباً نسيت ، وثوباً أجر . 2

المقارب

وقول النمر بن تولب :

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَر . 3

المقارب

11. بأن تعطف على معرفة ، أو يعطف عليها معرفة ، فالأول نحو: " خالد ورجل يتعلمان النحو"

، والثاني نحو: " رجل وخالد يتعلمان البيان".

1— الآية 01 من سورة المطففين.

2— " ديوان امرئ القيس " دار صادر بيروت ، ص. 110

3— " ديوان النمر بن تولب الكعبي " جمع وشرح وتحقيق: الدكتور محمد نبيل طريفي ، دار صادر بيروت ، ط 1 ، 2000م ، ص 56 .

12. بأن تعطف على نكرة موصوفة ، أو يعطف عليها نكرة موصوفة ، فالأول نحو: ﴿ قَوْلٌ

مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۖ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ 1. والثاني نحو: ﴿

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ 2.

13. بأن يراد بها حقيقة الجنس لا فرد واحد منه ، نحو: " ثمرة خير من جرادة".

14. بأن تقع جواباً نحو: " رجل" في الجواب من قال: " من عندك؟".

واللافت للنظر أن سيبويه والمتقدمين من النحاة لم يشترطوا لجواز الابتداء بالنكرة إلا حصول

الفائدة . فكل نكرة أفادت إن ابتدئ بها صح أن تقع مبتدأ. 3.

ثانياً : المسند (الخبر) .

— الخبر هو " المسند الذي تتم به مع المبتدأ فائدة " 4.

وسمي الخبر خبراً لأنه مسند ومثبت به المعنى ، لا لأنه مذكور بعد المبتدأ . 5

● أحكام الخبر:

— أن يكون الخبر مفرداً ، أو جملة ، أو شبه جملة ، وقد يتعدد . ويقول ابن يعيش : " قال صاحب

الكتاب : والخبر على نوعين : مفرد وجملة ، فالمفرد على ضربين : خال من الضمير ومتضمن له

وذلك (زيد غلام) و(عمر منطلق) قال الشارح : اعلم أن خبر المبتدأ هو الخبر المستفاد الذي يستفاده

السامع ويصير مع المبتدأ كلاماً تاماً ، والذي يدل على ذلك أنه به يقع

1— الآية 263 من سورة البقرة .

2— الآية 21 من سورة محمد.

3— مصطفى الغلاييني " جامع الدروس العربية" ص. 372.

4— محمد محي الدين عبد الحميد " شرح قطر الندى وبل الصدى" دار الفكر ص. 161.

5— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 146.

التصديق والتكذيب ... ثم يقول: قال صاحب الكتاب : والجملة على أربعة أضرب : فعلية واسمية وشرطية وظرفية وذلك (زيد ذهب أخوه) (عمر أبوه منطلق) (بكر إن تطعه يشكره) (خالد في النهار) قال الشارح : اعلم أن الجملة تكون خبراً للمبتدأ كما يكون المفرد ، إلا أنها إذا وقعت خبراً كانت نائبة المفرد واقعة موقعه ولذلك يحكم على موضعها بالرفع على معنى أنه لو وقع المفرد الذي هو الأصل موقعها لكان مرفوعاً¹.

— الخبر مرفوع بالمبتدأ على الأغلب في رأي النحاة.

— الأصل في الخبر أن يكون نكرة مشتقة . وقد يكون جامداً نحو : " هذا حجر " .

— وجوب مطابقتها للمبتدأ إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنثياً.

— جواز حذفه إن دل عليه دليل ، نحو : " خرجت فإذا الأسد " و " من مجتهد؟ " . ومنه قوله تعالى : ﴿

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا

تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾².

— وجوب حذفه في أربعة مواضع :

أ. أن يدل على صفة مطلقة ، وذلك أن يتعلق بها ظرف أو جار ومجرور نحو : " الجنة تحت أقدام الأمهات " و " العلم في الصدور " . أو تقع بعد لولا أو لوما نحو : " لولا الدين هلك الناس " و " لوما الكتابة لضاع أكثر العلم " .

ب. أن يكون خبراً لمبتدأ صريح في القسم ، نحو قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجْلَى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ الطويل

ج. أن يكون المبتدأ مصدراً، أو اسم تفضيل مضاف إلى مصدر، وبعدهما حال لا تصلح أن تكون خبراً ، وإنما تصلح أن تسد مسد الخبر في الدلالة عليه ، فالأول نحو : " تأديبي الغلام مُسيئاً " .

1— ابن يعيش " شرح المفصل " ج 1 ، ص 88.

2— الآية 35 من سورة الرعد .

والثاني نحو: "أفضل صلاتك حالياً مما يشغلك".

د. أن يكون بعد واو متعين أن تكون بمعنى "مع" ، نحو: "كل امرئ وما فعل" أي: مع فعله.

— جواز تعدده ، والمبتدأ واحد نحو: "خليل ، كاتب ، شاعر ، خطيب"

— أن الأصل فيه أن يتأخر عن المبتدأ ، وقد يتقدم عليه جوازاً أو وجوباً .

ب. جملة الفعل والفاعل :

وهي التي تسمى بالجملة الفعلية لأن المسند فيها فعل والمسند إليه فاعل.

أولاً : المسند (الفعل).

الفعل هو ما دل على وقوع حدث مقترن بزمن .

● أحكام الفعل الماضي :

— الفعل الماضي ما دل على وقوع الحدث في زمن مرّ قبل النطق به .1

— يبنى على الفتح دوماً ما لم يتصل به شيء ، أو اتصلت به تاء التأنيث ، أو ألف الاثنين . سواء كان الفتح ظاهراً أم مقدراً مثل : حضرَ الطالب ، حضرتِ الطالبة ، الطالبان حضرا ، دعا الطالب زميله .

— يبنى على السكون إذا اتصلت به تاء الفاعل ، أو نون النسوة ، أو الناء الدالة على الفاعلين مثل: حضرت ، حضرُن ، حضرْنَا .

— يبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة نحو: حضرُوا .

● أحكام الفعل المضارع :

— الفعل المضارع هو ما دلّ على وقوع حدث مقترن بزمن يصلح للحال والاستقبال.2

— الأصل في المضارع أن يكون معرباً وذلك عندما لا يسبق بشيء فهو مرفوع بالضمة الظاهرة أو المقدرة نحو: "يركض ، يسمو ، يبنى". ويرفع بثبوت النون إذا كان من الأفعال الخمسة ، وإذا

1- صبيح التميمي "هداية السالك إلى ألفية ابن مالك" ص28.

2- المصدر نفسه ص26.

سبق بحرف ناصب فهو منصوب بالفتحة الظاهرة إذا انتهى بحرف صحيح أو بواو أو ياء نحو : لن يسمع ، لن يدعو ، لن يمشي ، وهو منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر : لن يرضى ومنصوب بحذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة نحو : لن يرضوا ، وإذا سبق بحرف جازم فهو محزوم بالسكون الظاهر إذا انتهى بحرف صحيح ، نحو : لو يسمع ، وهو محزوم بحذف حرف العلة إذا انتهى بحرف العلة نحو : لم يدع ، وهو محزوم بحذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة نحو : لم يسمعوا .

— بيني المضارع على الفتح إذا اتصلت به نون التوكيد نحو : والله لأسمعن ، وبينى على السكون إذا اتصلت به نون النسوة نحو يكتبن .

— يدل الفعل المضارع على الماضي إذا سبقته إحدى الأدوات التالية :

لم ، لما ، إذ ، نحو : " لم يلد ولم يولد " ، لما يصل ، في تاريخنا فتن ربما أكرهها ، أفرحتني إذ تصغي إلى
الدرس 1.

— أن يكون للحال والاستقبال كما في أفعال المقاربة نحو : كاد الامتحان يقرب .

— أن يتعين زمنه للحال إذا رافقته قرينة دالة على ذلك مثل : "الآن أكتب" . وإذا وقع خبر الفعل من أفعال الشروع نحو : " طفق الطالب يجيب " ، وإذا نفي بالفعل ليس وما يشبهها معنى وفعلا : " ليس ينهض عادل لعمله " ، وإذا دخلت عليه لام الابتداء مثل : إنك ليرتاحُ الناس إلى عملك . وإذا وقع مع فروعه في محل نصب على الحال نحو : " أقبل الطلاب يتراحمون " ، وإذا دخلت عليه ما المصدرية الظرفية نحو : " يفرحني ما تجتهد " .

— أن يتعين زمنه للاستقبال إذا اقترن بظرف من ظروف المستقبل مثل : إذا ، نحو : أكرمك إذا تكرمني ، وإذا كان مسندا إلى شيء متوقع حصوله في المستقبل نحو : يفوز الطلاب المجدون في آخر السنة ، وإذا سبقته هل نحو : هل تزورني ؟ ، إذا تضمن طلباً بذاته أو بدليل عليه فبالذات

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ^ط لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ^ج وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^ج لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا^ج لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ
بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ^ج وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ^ق فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ
تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا^ق وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ^ق وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ^ط﴾ 1. أما بالدليل نحو قوله تعالى : ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ^ط وَمَنْ قُدِرَ
عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ^ج لَا يُكَلَّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا^ج سَيَجْعَلُ اللَّهُ

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا^ط﴾ 2.

• أحكام فعل الأمر:

— فعل الأمر ما دلّ على طلب حصول شيء بعد زمن التكلم 3.

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا^ط وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ

الْأَصْنَامَ^ط﴾ 4.

— يبنى على السكون إذا لم يتصل به شيء، وإذا اتصلت به نون النسوة نحو: " اذهب، وأخلصن.

1— الآية 233 من سورة البقرة .

2— الآية 07 من سورة الطلاق .

3— صبيح التميمي " هداية السالك إلى ألفية ابن مالك " ص 30.

4— الآية 35 من سورة إبراهيم .

— يبنى على الفتح إذا اتصلت به نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة ،نحو: احترمَنَّ والديك .

— يبنى على حذف حرف العلة إذا كان الفعل معتل الآخر ،نحو: اسعَ.

— يبنى على حذف النون إذا اتصلت به ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو ياء

المخاطبة نحو : اخرجوا، اذهبوا، اذهبي.

— يشترك المضارع والأمر في علامتين أساسيتين هما : نون التوكيد الثقيلة والخفيفة ، وياء المخاطبة .

— أما زمن الأمر فهو للمستقبل في أكثر حالاته .

ثانياً : المسند إليه (الفاعل).

الفاعل: هو المسند إليه بعد فعل تام معلوم أو شبهه، نحو : " فاز المجتهد " و " السابق فرسه فائز " .

● أحكام الفاعل :

— الفاعل الحقيقي غير الفاعل المجازي لأن هذا الأخير هو مفعول به في حقيقة الأمر مثل : تحرك الشجر ، فالأصل في هذا المثال : حرّك الهواء الشجرَ .

— الفاعل عمدة في الجملة إذ لا يمكن الاستغناء عنه ، فإما أن يكون ظاهراً أو مقدراً .

— وجوب رفعه، وقد يجزُّ بإضافته إلى المصدر ، نحو: " إكرام المؤمن أباهُ فرضٌ " ، أو إلى اسم المصدر نحو: سلم على الفقير سلامك على الغني .

— يجز الفاعل لفظاً بالباء ، أو من أو اللام الزائدات ، نحو : " ما جاء من أحد " ، ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ

بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ 1.

﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿١٦٧﴾ 2.﴾

1- الآية 166 من سورة النساء .

2- الآية 36 من سورة المؤمنون.

— وجوب وقوعه بعد المسند ، فإن تقدم ما هو فاعل في المعنى كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود إليه ، نحو: " علي قام " .

وقد أجاز الكوفيون تقديم الفاعل على المسند ، ومنع البصريون ذلك . 1

— يكون الفاعل واحداً من الأشياء التالية : اسماً ظاهراً : انتصر الحق ، أو ضميراً متصلاً : قمت ، قمنا ، قاما ... وقد يكون ضميراً منفصلاً نحو : ما قام إلا أنا . وقد يكون الفاعل ضميراً مستتراً جوازاً و وجوباً .

الجواز : مع الماضي والمضارع المسندين للمفرد الغائب والمفردة الغائبة . نحو : قامت ، قام .
الوجوب : مع المضارع والأمر المسندين للمفرد المخاطب نحو : تقوم / قم . ومع المضارع المسند للمفرد المتكلم والجمع : أقوم / نقوم ، ومع اسم الفعل المسند للمتكلم نحو : أف ، أو المسند للمخاطب مثل : صه ، وفي صيغة ما أفعله ومع فاعل : خلا ، عدا ، حشا .

— قد يكون الفاعل مصدراً مؤولاً ، ولا يؤول مع الحرف المصدرى فاعلاً إلا مع أن ، إن ، ما ، وقد يكون الفاعل لفعل محذوف أو مقدر .

— أفعال لا تحتاج فاعلاً هي : كان الزائدة ، قلماً ، كثرما ، طالما .

هناك أدوات لا تدخل على الجمل الاسمية بل على الجمل الفعلية ولذلك إذا جاء بعدها اسم يعرب فاعلاً لفعل محذوف ، والأدوات هي : إذا ، لو ، إن .

— لا يتعدد الفاعل .

وخلاصة القول إننا حاولنا أن نرصد في هذا المجال التشكيل الأساسي للجملة في اللغة العربية . والتي ترتبط بالسياق الكلامي لنصل إلى أن بنية الجملة لها مستويات وأنماط قصد تناول الجملة عند عبد القاهر الجرجاني فيما سيأتي انطلاقاً من نظريته التي تقتضي التمييز بين مستويين في بنية الجملة أولهما مستوى البنية النحوية للجملة الذي يرتبط بالسياق الكلامي الفعلي الذي

تدخل فيه، وتتم دراسة هذا المستوى في علم النحو وتمكن من معرفة الارتباط النحوي بين الكلام ثانيهما مستوى البنية الإخبارية للجملة الذي يرتبط بالموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه . وتتم دراسة هذا المستوى في علم المعاني (أحد علوم البلاغة) ، وتمكن من معرفة ارتباط معنى الكلام بالموقف الذي يقال فيه .

2. التشكيل الأساسي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني:

— نبذة عن حياة عبد القاهر الجرجاني :

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أحد أئمة العربية والنحو والكلام على مذهب الأشاعرة ولد في بداية القرن الخامس الهجري ببلدة جرجان التي لم يغادرها من أجل العلم ، يقول عنه القفطي : " إنه فارسي الأصل ، جرجاني الدار ، عالم بالنحو والبلاغة ، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي ، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدر بجرجان وحث إليه الرجال ، وصنف التصانيف الجليلة " . 1 كان حجة في اللغة صنف التصانيف شرحا وإيضاحا لكتب شيوخه وسابقيه ككتاب " المغني في شرح الإيضاح في النحو " لشيخه أبي علي الفارسي ، وله كتاب " العمدة في تصريف الأفعال " وكتاب " العوامل المائة " وكتاب " المفتاح " و " تفسير ضخمة للفتحة في مجلد " . له في البلاغة ثلاثة كتب " إعجاز القرآن " ، " أسرار البلاغة في علم البيان " ، " دلائل الإعجاز في علم المعاني " .

كان ديناً عالماً على مذهب الشافعية فقهها، والأشاعرة كلاماً، قانعاً خاشعاً، متورعاً عابداً . والجرجاني بحق يعد واضع أسس البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها ، والذي على نهجه سار رجال البلاغة من بعده وأتموا البيان الذي رسم حدوده ومعالمه، وأرسى قواعده وأركانها توفي سنة (471هـ).

1— القفطي " إنباه الرواة على أنباء النحاة " تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب القاهرة ، ج2 ، ص 188 — 190.

— النحو عند عبد القاهر الجرجاني :

أبي عبد القاهر الجرجاني أن ينساق مع نظرة النحاة الخاطئة للنحو فانتشله من مهاوي التردي، وغياهب الجمود ، فدعا إلى دراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق مجسداً الرغبة في إيضاح المعاني الوظيفية للتركيب الكلامي ، وأوجه الدلالة في تأليف العبارة . فالنحو عند عبد القاهر الجرجاني هو الذي يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها ، وهو المعيار الذي يعرف به فضل كلام على كلام ، وهو مقياس الصحة من السقامة في الفكر . حيث يقول عن الإعراب : " قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون المستخرج لها، وأنه هو المعيار الذي يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه " 1.

"وعلى الرغم من أن منهج عبد القاهر يحفل باتباع السابقين في الدرس النحوي كأمثال سيبويه الذي يعتد به كثيراً في المرجعية ، وأمثال أبي علي الفارسي الذي يعده شيخه الأول فإن عبد القاهر يربط الدراسة النحوية واللغوية معاً بعامل النظم ، ويربط عامل النظم بالعامل النفسي في عملية إنتاج الكلام " 2.

أما قواعد النحو لم تعد لدى عبد القاهر الجرجاني جافة مقصورة على الإعراب، وإنما أصبحت مقياساً يُهتدى به في البراعة ، ووسيلة من وسائل التصوير والصياغة التي يتفاوت الشعراء في التسابق فيها : " وإنما سبيل هذه المعاني (النحوية) سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش . فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ، التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضروب من التخيّر والتدبّر في أنفُس الأصباغ، وفي مواقعها، ومقاديرها ، وكيفية

1— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص.23

2— د/ محمد عباس " الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني " دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص66.

مزجه لها، وترتيبه إياها، إلى ما لم يهتد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب كذلك حال الشاعر، والشاعر في توخيها معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم " 1. وهكذا يبدو أن فهم عبد القاهر للنحو، قد أعاد للغة مكانتها، وبيّن قدراتها العجيبة على تأدية المعاني المرادة بواسطة الصياغة الفنية الحقة، فالنحو عنده ليس ذلك العلم الذي يبحث في أواخر الكلمات بقصد إعرابها، وليس هو ذلك الشيء الذي لا مكان له في فن القول، أو في الفن الأدبي عموماً، وإنما هو العلم الذي يكشف لنا عن المعاني التي هي ألوان نفسية نستطيع إدراكها من وجوه استعمال الكلام، ومن الفروق التي تبدو بين استعمال وآخر من خلال ارتباط بعضها ببعض، بحيث تجتمع لتشكيل معاً نسيجاً حياً من المشاعر الإنسانية والصور الذهنية والأحاسيس الوجدانية. وحقيق القول: "لقد آن لمذهب عبد القاهر الجرجاني أن يحيا، وأن يكون هو سبيل البحث النحوي، فإن من العقول ما أفاق لحظة من التفكير والتحرر، وإن الحس اللغوي أخذ ينتعش ويتذوق الأساليب، ويزينها بقدرتها على رسم المعاني، والتأثير بها من بعد ما عاف الصناعات اللفظية وسئم زخارفها "

1— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص70.

2— إبراهيم مصطفى "إحياء النحو" مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1959م، ص20.

— الجملة عند عبد القاهر الجرجاني :

أولاً : جملة المبتدأ والخبر :

قبل الإفاضة في الحديث عن جملة المبتدأ والخبر يجدر بنا أن نورد معاني الكلام عند الإمام عبد القاهر الجرجاني كما عرضها الأستاذ جعفر دك الباب .

1. الكلام خبر وأمر ونهي واستفهام وتعجب .
2. لا يكون خبر حتى يكون مخبر به و مخبر عنه ، و ينقسم الخبر إلى إثبات ونفي وينطبق هذا على جميع اللغات وليس على اللغة العربية فقط .
3. لا بد للخبر من مخبر يصدر عنه ، ويكون موصوفا بالصدق إن كان صدقا ، وبالكذب إن كان كذبا ، والصدق في الخبر مطابقته للواقع ، والكذب فيه هو عدم مطابقته للواقع .
4. ليس الخبر صفة للفظ ولكن حقيقة الخبر هي الحكم بوجود المعنى أو عدمه ، ويسمى وجود المعنى من الشيء أو فيه إثباتا ، ويسمى عدم المعنى وانتفاؤه عن الشيء نفيا .
5. الخبر وجميع الكلام معانٍ توصف بأنها مقاصد وأغراض وأعظمها شأنًا الخبر ، وترتبط جميعها بوظيفة اللغة الأساسية كوسيلة اتصال بين الناس ، والتي تتجلى في نقل ما يقصده المتكلم إلى السامع .
6. ولما كان محالا أن يكلم المتكلم السامع بكلمات لا يعرف الثاني معانيها كما يعرفها الأول يتضح أن المتكلم لا يقصد أن يعلم السامع معاني الكلام المفردة التي يكلمه بها، بل يقصد أن يعلم السامع بها شيئا جديداً لا يعلمه .
7. إن ارتباط الكلمات ببعضها وفقا لمعاني النحو ، أي المعاني ذات الدلالات العقلية بعكس ارتباط التفكير باللغة .
8. الجملة هي أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يمكن السكوت عليه لاشتمالها على المسند إليه

والمسند في أبسط صيغة لهما مجردين عن جميع ما يتعلق بهما من كلمات .

9. الجملة بعد أن يبنى عليها ، أي بعد أن يضاف إليها كلمات تزيد على جزأي الجملة في أبسط صيغة لهما يتغير معناها في ذاته ، لأن المفهوم من مجموع الكلمات المرتبطة ببعضها بالنظم هو معنى واحد لا عدة معان.

10. الإثبات أو النفي بحد ذاتهما معنى ، لذا فإن معنى الخبر هو معنى مفصل عن معنى المخبر به والمخبر عنه "1.

ومن خلال هذا العرض المقتضب يتضح أن جملة المبتدأ والخبر عند عبد القاهر الجرجاني تنحصر في ثلاث صور هي " الإثبات والنفي والاستفهام .

● **الإثبات:** في حد ذاته معنى، فالنمط الذي على صيغة الإثبات يؤدي معنى لا يؤديه على صيغة

النفي .

حيث يقول عبد القاهر الجرجاني : " ومن فروق الإثبات أنك تقول: " زيد منطلق " ، و " زيد المنطلق " و " المنطلق زيد " ، فيكون لك في الواحد من هذه الأحوال غرض خاص ، وفائدة لا تكون في الباقي " 2.

والمستخلص من هذا القول أن الإثبات ثلاثة أنماط مختلفة الدلالة فقوله : " زيد منطلق " فالانطلاق ذكره لأنه غير معلوم بالنسبة للسامع ، وأما قوله : " زيد المنطلق " فالخبر معرفة لأنه معلوم لدى السامع وإن كان لا يعرف صاحب الانطلاق ، أما قوله : " المنطلق زيد " ففيه تأكيد لهذا التخصيص ، وذلك بسبب إمكاننا إدراج ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر .

1— د/جعفر دك الباب "الموجز في شرح دلائل الإعجاز" مطبعة الأهالي ، دمشق ، 1980م، ص76_77.

2— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص141.

ومن ثم يصح القول " زيد منطلق وعمرو " ولا يقال " زيد المنطلق وعمرو " . أما في المثال الثالث فالانطلاق لزيد لا لغيره .

وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني : " مما تمس الحاجة إلى معرفته أنك إذا نكّرت الخبر جاز أن يأتي بمبتدأ ثان ، على أن تشركه بحرف عطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول ، وإذا عرّفت لم يجوز ذلك "1، ثم يضيف قائلاً: " إن كان ذلك الانطلاق من اثنين ، فإنه ينبغي أن تجمع بينهما في الخبر فتقول : زيد وعمروهما المنطلقان . لا أن تفرق فتشبهه أولاً لزيد ، ثم تحيء فتشبهه لعمرو "2.

إن التباين في نمط الإثبات متولد في الأصل عن السياقات المختلفة التي وردت فيها ، ولا يؤثر ذلك بلا شك في نوعية الإثبات ، " كما نلاحظ التأثير النفسي لطابع التعبير وتذوق المدلول الحيوي للسياق الكلامي ، فالقول بأنمط المبتدأ أو الخبر يفيد ثبوت المعنى أو الصفة للشيء من غير أن يقتضي تحديده شيئاً بعد شيء ، وهذا ما لا يوجد في أنمط الفعل والفاعل "3 .

أما فيما يتصل باستخدام إن فقد أورد الجرجاني ما روي عن ابن الأنباري أنه قال : " ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ! فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون " عبد الله قائم " ثم يقولون : " إن عبد الله قائم " ، ثم يقولون " إن عبد الله لقائم " ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف في الألفاظ ، فقولهم : " عبد الله قائم " ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : " إن عبد الله قائم " جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : " إن عبد الله لقائم "

1— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص141

2— المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

3— د/ صالح بلعيد " التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1994م، ص162.

جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني . فقال : فما أحرار المتفلسف جواباً

1.

ونستشف من هذا القول أنه كلما تغير التشكيل تغير المعنى واكتسبت السياقات دلالات وظيفية أخرى . ومن هنا راح عبد القاهر الجرجاني يبرز مدلول إن وخصائصها من خلال ذكره لبیت بشار وتعليقه عليها.

بَكْرًا صَاحِبِيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ 2 الخفيف

وقول آخر:

فَعَنَّهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبْلِ الْهُدَاءُ الرجز

"وذلك أنه هل هناك شيء أبين في الفائدة ، وأدل على أن ليس سواء دخولها، وأن لا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها، وتألف معه، وتتحد به . حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفرغا واحدا ، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر . هذه هي الصورة ، حتى إذا جئت إلى " إن " فأسقطتها ، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول ، وتجافى معناه عن معناه ، ورأيت لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل ، حتى تجيء " بالفاء " فتقول بَكْرًا صاحبي قبل الهجير ، فذاك النجاح في التبكير " و " غنها وهي لك الفداء ، فغناء الإبل الهداء ، ثم لا ترى " الفاء " تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه من الألفة ، ولا ترد عليك الذي تجد بـ " إن " من المعنى 3.

والواضح من هذا التعليق أن " إن " لها دور أساسي، وأنها ربطت ما قبلها بما بعدها ، ولها خصائص بينة تنعدم بعدم وجودها . ولهذا الضرب السالف الذكر نضائر كثيرة في القرآن الكريم ومن ذلك

1— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص235.

2— " ديوان بشار بن برد " قرأه وقدم له : الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت، ط1 ، 2000م ، ص331.

3— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص236.

قوله

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ 1. وقوله

عز اسمه : ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا

أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ 2. كما يلاحظ أنها تتكرر في بعض السياقات

الكلامية، وتكرارها يزيد من ثباتها كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 3، وهنا أنزلت إن منزلة الفاء الرابطة

حيث جعلت الآية كأنها في تركيب كان يعلم السامع أمرها ، أي لم يكن خالي الذهن فتؤكد له

الأمر، ويستحسن الجمع بينها وبين اللام مما يزيدها قوة ، وخاصة في مخاطبة المنكر لأن الحاجة إلى

التأكيد أشد قصد تثبيت الخبر كقول الخنساء:

إِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ 4 البسيط

1— خبر ابتدائي لم يسمع فيه السامع المسند (الخبر) من قبل أصلا لذا يكون نكرة مشتقة تتضمن

ضميرا يعود إلى الخبر ولا يجوز أن يوجد هذا الضمير عندما يكون هذا المشتق عاملا فيما بعده نحو:

زهير مجتهد أخوه . فإذا كان الخبر يحوي ضميرا يعود على المبتدأ جازت المطابقة وعدمها ، وقد يكون

الخبر اسما جامدا نحو : هذا حجر ، أو نكرة جامدة في معنى المشتق نحو: محمد أسد (شجاع) ،

وعندما يكون الخبر جامدا ولا يؤول بمشتق ففيه معنى الضمير الراجع إلى المبتدأ ، ففي (أسد) بمعنى

(شجاع) ضمير مقدر يعود على المبتدأ ، وذكر الجرجاني في هذا الصدد قول أبي تمام :

1— الآية 01 من سورة الحج.

2— الآية 17 من سورة لقمان .

3— الآية 53 من سورة يوسف.

4— " ديوان الخنساء " شرح وتحقيق : عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص 40.

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْوِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ 1 الطويل
نلاحظ أنه لم يستخدم مع الخبر أداة التوكيد .

2 — خبر غير ابتدائي: يسمع فيه السامع بالمسند (الخبر) من قبل ولكنه يشك في إسناده إلى شخص أو شيء معين ، ويكون ذلك في الخبر الطلبي الذي يلقي إلى المخاطب المتردد في الحكم مؤكدا بإحدى أدوات التوكيد قوة الحكم ، وذكر الجرجاني في هذا الصدد قول الشاعر السري الرفاء:
إِنِ الْبِنَاءَ إِذَا مَا أَهْدَى جَانِبُهُ لَمْ يَأْمَنِ النَّاسُ أَنْ يَنْهَدَ بَاقِيَهُ 2 البسيط
وهناك خبر إنكاري ، وهو الذي زيد في توكيده لاعتقاد المخاطب بما يخالف حكم هذا الخبر كقول الشاعر:

إِنَّ الْحَيَاةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ تَخْلَعُهُ وَكُلُّ ثَوْبٍ إِذَا مَا رَثَ يَنْخَلِعُ البسيط
وجملة القول إن عبد القاهر الجرجاني ركز على الفروق البنيوية بين المبتدأ والخبر ، وأن أي تغيير يمس التركيب يؤدي حتما إلى تغيير في المعنى ، وأن الأنماط النحوية للجملة في الخبر ووسائل ربطه بالمبتدأ عاجلها الجرجاني بدقة متناهية ، وفق سياقات اقتضاها موقف الكلام .
• **النفي** : يشير الجرجاني إلى أن " إنما " " تحيء الخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو

لما ينزل هذه المنزلة "3 ويؤكد أن ما يصلح لما وإن ولا ، لا يصلح لأنما ففي قوله تعالى : ﴿ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ 4

- 1— "ديوان أبي تمام " تقديم وشرح : الدكتور محي الدين صبحي ، المجلد الثاني ، دار صادر بيروت ، ط1 ، 1997م ، ص90 .
- 2— "ديوان السري الرفاء " تقديم وشرح: كرم البستاني مراجعة ناهد جعفر ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص457.
- 3— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص245.
- 4— الآية 10 من سورة إبراهيم .

يفسر هذه الآية بقوله: "إنما جاءَ الله أعلم _ بـ "إن" و"لا" دون "إنما"، فلم يقل "إنما أنتم بشر مثلنا" لأنهم جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم، وادعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر. ولما كان الأمر كذلك أُخرج اللفظ مُخرجه حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه، ثم جاء الجواب من الرسل الذي هو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾¹، فالرسل صلوات الله عليهم كأنهم قالوا: "إن ما قلتم من أننا بشر مثلكم كما قلتم، لسنا ننكر ذلك ولا نجهله، ولكن ذلك لا يمنعنا من أن يكون الله تعالى قد من علينا وأكرمنا بالرسالة"².

و كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾³. وغيرها من الأمثلة التي أوردها عبد القاهر الجرجاني في هذه القضية كلها تؤكد أنه لا بد من مراعاة نفسية المخاطب، وكذلك مراعاة تأثير النمط النحوي للجملة عليه، فقولنا: ما هو إلا منير، استعملنا فيه أداة النفي ما، وأداة الحصر إلا فالنمط إخبار بخبر غير ابتدائي، وقولنا: إن هو إلا منير نجد أن هناك اتجاهين الأول هو: هل هو منير؟ أم غيره؟، فأفاد المثال أنه منير، وقولنا إنما هو منير نلاحظ فيه التأكيد على أنه منير، وعلى أن هناك منكر ينكر أنه هو، فاستعملنا التأكيد على ذلك"⁴.

1- الآية 11 من سورة إبراهيم .

2- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز"، ص. 247.

3- الآية 22 من سورة فاطر .

4- صالح بلعيد "التركييب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني" ص166.

ويتم النفي على هذه الأضرب :

— النفي بـ "لا" كأن نقول : " هو عمرو لا زيد الآتي " ، فتكون قد نفيت المجيء عن زيد وأثبتته لعمرو .

— النفي بـ "إنما" تأتي بخبر لا يجهله المخاطب ، وفي هذا أورد عبد القاهر الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا

أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ تَخْشَاهَا﴾¹ فيشكل الأمر على المتكلم أنه معلوم ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع .

— النفي والاستثناء : هو إثبات أمر ينكره المخاطب ويشك فيه والشاهد على ذلك قوله تعالى : ﴿

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾² أَلَا إِنَّهُمْ

هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾³ .

ويظهر جليا من كل ما سبق أن عبد القاهر يلح على مراعاة العلاقة بين المتكلم والمخاطب في توظيف التراكيب اللغوية بمختلف أنماطها ، بغية الوصول إلى سنّ ناموس عام يسير عليه متكلمو اللغة تلافيا للإسفاف في فهم اللغة وأنماطها .

● **الاستفهام** : يرى الجرجاني في مسألة تقديم النكرة على الفعل ، أو تقديم الفعل عليها " أنك

إذا قلت : أ جاءك رجل ؟ . فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه ، فإن قدمت الاسم فقلت : أ رجل جاءك ؟ . فأنت تسأله عن جنس من جاءه ، أ رجل هو أم امرأة ؟ ويكون هذا منك إذا علمت أنه قد أتاه آت ، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ، فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت : أزيد جاءك أم عمرو ؟ " .³ ، والجرجاني من خلال

1— الآية 45 من سورة النازعات .

2— الآيتان 11_12 من سورة النقرة .

3— عبد القاهر " دلائل الإعجاز " ص 117 .

هذا القول يكشف عن مسألة هامة تتعلق بعدم جواز تقديم الاسم في المثال الأول ، لأن تقديمه يكون إذا كان السؤال عن الفاعل ، والسؤال عن الفاعل يكون إما عينه، أو عن جنسه . ولا يمكن تقديم الاسم النكرة إذا لم يكن السؤال عن الجنس .

أما إذا "قلت : أرجل طويل جاءك أم قصير ؟ كان السؤال عن أن الجائي من جنس طوال الرجال أم قصارهم؟ فإن وصفت النكرة بالجملة فقلت: أرجل كنت عرفتة من قبل أعطاك هذا أم رجل لم تعرفه ؟"، كان السؤال عن المعطي : أكان ممن عرفه قبل ، أم كان إنسانا لم تتقدم منه معرفة له ؟". 1

وهكذا فقد ركز الجرجاني على الاستفهام الذي له حق الصدارة وتقديم ما يقارنه من اسم وفعل، أما الاستفهام على سبيل التشبيه والتمثيل فقد أورد ما يعززهما وهو قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ

تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ 2 . ويرى

الجرجاني : " ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد ، فيكون ذلك للإنكار، وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه ، وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون، أو أنه يستطيع إسماعهم منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي ، ثم المعنى في تقديم الاسم و أن لم يقل : أتسمع الصم؟. وهو أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: "أأنت خصوصا قد أوتيت أن تسمع الصم" ؟ وأن يجعل في ظنهم أنه يستطيع إسماعهم بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم "3

والاستفهام عند عبد القاهر الجرجاني يحدد بحسب وظيفة القرائن التي يحصل منها التركيب. وقد يكون الاستفهام حقيقياً يتطلب جواباً مثل: أزيد منطلق؟ فأنت تطلب أن يقال لك: نعم هو

1- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص. 117.

2- الآية 40 من سورة الزخرف .

3- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص. 94.

منطلق أو يقال لك : لا ما هو منطلق. وقد يكون الاستفهام مجازاً تحدده دلالة السياق كآلية السابقة الذكر.

ثانياً: جملة الفعل والفاعل :

• الإثبات :

يرى الجرجاني أن الخبر ينقسم إلى نوعين : "خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له. فالأول خبر المبتدأ كـ "منطلق" في قولك: "زيد منطلق" ، والفعل كقولك: "خرج زيد" ، فكل واحد من هذين جزء من الجملة ، وهو الأصل في الفائدة ، والثاني هو الحال كقولك "جاءني زيد راكباً" وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة ، من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال . كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، وبالفعل للفاعل . ألا تراك قد أثبتت الركوب في قولك: "جاءني زيد راكباً" لزيد؟ إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالجيء ، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ، ولم تجرّد إثباتك للركوب ولم تباشره به، ابتدأت فأثبتت الجيء ، ثم وصلت به الركوب ، فالتبس به الإثبات على سبيل التبع للمجيء، وبشرط أن يكون في صلته . وأما في الخبر المطلق نحو : "زيد منطلق" و"خرج عمرو" ، فإنك مثبتٌ للمعنى إثباتاً جرّده له ، وجعلته يباشره من غير واسطة ، ومن غير أن تتسبّب بغيره إليه . فاعرفه".¹ ، ويتبع الجرجاني كلامه ببيان الفرق بين الخبر إذا كان بالاسم أو بالفعل ، فالإخبار بالاسم يدل على الإثبات ، والإخبار بالفعل يدل على التجدد كما أن هناك فرق بين الخبر في جملة الفعل والفاعل ، والخبر في جملة المبتدأ والخبر ، وقد يحسن الخبر إذا قلته بالاسم ولا يحسن إذا قلته بالفعل وهذا حسب السياق الذي يرد فيه، ولييان هذه المسألة أورد الجرجاني طائفة من الشواهد منها قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ

ذَاتَ الْيَمِينِ

وَذَاتَ الشِّمَالِ ^ط وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ^ج لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ

فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ 1. حيث يرى أن كلمة " باسط " أصلح من " ييسط " لأن

الاسم " باسط " يقتضي ثبوت الصفة وحصولها ، بينما الفعل " ييسط " يقتضي تجدد الصفة في الوقت .

كما يحسن الخبر إذا قلته بالفعل ولا يحسن إذا قلته بالاسم ومن الشاهد على ذلك قول الأعشى :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدى وَالْمُحَلَّقُ 2 الطويل

فاستخدام الفعل " تحرق " أصلح في هذا السياق من لفظة " متحرقة " لأن الفعل " تحرق " يدل على

التجديد في الالتهاب والاشتعال ، أما " متحرقة " فتدل على نار قد ثبتت لها هذه الصفة "ولأنه لو قيل

:" إلى ضوء نار متحرقة " ، لنبا عنه الطبع وأنكرته النفس ، ثم لا يكون ذاك النبؤ وذاك الإنكار من

أجل القافية وأنها تفسد به ، بل من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال "3.

ثم أردف الجرجاني كلامه بالحديث عن إنما في مسألة الإثبات قائلاً : " اعلم أن موضوع إنما على أن

تجيء الخبر لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته ، أو لما ينزل هذه المنزلة ، تفسير ذلك أنك تقول

للرجل : إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم ، لا تقوله لمن يجهل ذلك ، ويدفع صحته ، ولكن

لمن يعلمه ويقرّ به ، ألا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب "4.

ومثاله "إنما يعجل من يخشى الفوت" وذلك أن من المعلوم الثابت في النفوس أن من لم يخش الفوت لم

يعجل.

1- الآية 18 من سورة الكهف.

2- "ديوان الأعشى" دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 2003م ، ص120 .

3- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص140.

4- المصدر نفسه، ص245.

ومثاله من التنزيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ

ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ ﴾ 1. وفي هذه السياقات إثبات لما ذكر بعد إنما، ونفي لما سواها ، فالعاقل

يدرك أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع ويعقل، ولا تكون ممن لا يسمع ولا يعقل.

وهناك ما ينزل منزلة الخبر الذي يعلمه المخاطب ولا ينكره بحال كقول الحطيئة :

وَتَعَذَّلْنِي أَفْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتَ سَعْدُ الطويل

وموطن الشاهد أنه نفي وإثبات ، نفى القول وأكده بإلا . أما فيما يخص "لا" العاطفة فالثابت أنها

تنفي عن الثاني ما وجب للأول . كقوله : جاءني زيد لا عمرو . فالجرجاني يؤكد " أن لا شبهة في أن

ليس هاهنا جائيان ، وأنه ليس إلا جاء واحد ، وإنما الشبهة في أن ذلك الجائي "زيد" أم "عمرو" فأنت

تحقق على المخاطب بقولك : جاءني زيد لا عمرو ، أنه "زيد" وليس بـ "عمرو" 2.

ويورد الجرجاني جملة من القول في "ما" و"إلا" وما يكون من حكمهما . فيقول : " اعلم أنك إذا

قلت : " ما جاءني إلا زيد " احتمل أمرين :

أحدهما : أن تريد اختصاص "زيد" بالجيء ، وأن تنفيه عن عداه .

والثاني : أن يعلم أن الجائي زيد لا غيره " 3 ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا

أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۚ فَلَمَّا

تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ 4 ، وليس

1- الآية 36 من سورة الأنعام .

2- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص. 249

3- المصدر نفسه ص. 250

4- الآية 117 من سورة المائدة .

المعنى إني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ، ولكن المعنى :إني لم أدع ما أمرتني به أن أقوله لهم وقلت خلافاًه .

ومن الأنماط التي ساقها الجرجاني في هذا المضممار قوله: " إنك إذا قلت : " ما ضرب زيدا إلا عمرو " ، فقدمت المنصوب ، كان الغرض بيان الضارب من هو ، والإخبار بأنه عمرو خاصة دون غيره، وإذا قلت: "ما ضرب عمرو إلا زيدا " ، فقدمت المرفوع ، كان الغرض بيان المضروب من هو ، والإخبار بأنه " زيد " خاصة دون غيره " 1.

ويتضح من هذا القول أن الاختصاص يقع في واحد من الفاعل والمفعول به ولا يقع فيهما جميعاً، وأنه يقع في الذي يكون بعد إلاّ منهما دون قبلها ؛ لاستحالة أن يحدث معنى الحرف في الكلمة قبل أن يجيء معنى الحرف. إذن فالاختصاص مع إلاّ يقع في المؤخر دون المقدم وهذا الحكم ينسحب على إنما.

ومن السياقات اللغوية التي دعا الجرجاني إلى وجوب الاحتراز منها قولنا: " ما جاءني إلا زيد لا عمرو " ، فقد نفيت أن يكون قد جاءك أحد غيره ، فإذا قلت: " لا عمرو " ، كنت قد طلبت أن تنفي بـ "لا" العاطفة شيئاً قد تقدمت فنفيته وهذا خروج بها عن المعنى وضعت له إلى خلافاًه " 2.

● النفي:

نجد الجرجاني في معرض حديثه عن النفي في جملة الفعل والفاعل يقول : " إذا قلت : ما فعلتُ ، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول . وإذا قلت: ما أنا فعلتُ ، كنت قد نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول . وتفسير ذلك : أنك إذا قلت : " ما قلت هذا " ، كنت نفيت أن تكون القائل له ، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول . وكذلك إذا قلت : " ما ضربت زيدا " كنت نفيت عنك ضربه، ولم يجب أن يكون قد ضرب ، بل يجوز أن يكون ضربه غيرك ، وأن لا يكون قد ضرب أصلاً .

1— عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص251.

2— المصدر نفسه ص256.

وإذا قلت : " ما أنا ضربت زيدا " ، ولم تقله إلا و زيد مضروب ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب "1.

وهنا صلح أن يكون المنفي عاما كقولك: "ما قلت شعرا قط"، أي يصح لنا أن نقول : " ما قلت هذا ، ولا قاله أحد من الناس " و " ما ضربت إلا زيدا " ، ولنا أن نقول في هذا النمط : ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس " . ويمكن أن نعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده مثل " ما ضربت زيدا ، ولكني أكرمته " .

والملاحظ أن عبد القاهر الجرجاني يشاكل القدامى في مسألة النفي إذ " أنه ليس كل كلام يصلح فيه " ما وإن ولا " تصلح فيه "إنما" فمعالجته للأنماط المنفية التي دخلت عليها هذه الأدوات كانت ضمن التأكيد والتحقيق ، وقد ردّ النظام اللغوي فيه إلى العلاقة بين المتكلم والمخاطب ، وبه نفهم السياق الذي يهدف إليه عبد القاهر حين التمس المستوى الأول (الشكلي في اللغة) فالمستوى الثاني (المتغير) ، الذي نلمس فيه السمة النفسية للمخاطب ، ووظيفة الكلمات عند تأخيها مع بعضها ضمن موقف كلامي يؤدي وظيفة الإبلاغ "2.

وإذا كنا قد رأينا فيما سبق أن إنما تستخدم للإثبات فذلك مقرون بالنفي.فلو قلت: " إنما جاءني زيد " فإنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، وذلك شبيه بالمعنى في قولك: " جاءني زيد لا عمرو " ومزية إنما هي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة. إضافة إلى أنها تجعل الأمر ظاهرا في أن الجائي "زيد" وهذا ما لا ينطبق على عبارة: " جاءني زيد لا عمرو " لأنها تحوي "لا العاطفة" التي تثير الشبهة والشك في ذهن المخاطب . والمعروف أن " لا العاطفة" تنفي عن الثاني ما وجب للأول . أي تنفي أن الفعل الذي قلت أنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول، فهناك بون بين النمطين .

1— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص.105

2— صالح بلعيد"التركييب النحوية" ص154.

أما قولك : " جاءني زيد لا عمرو " وقولك : " جاءني زيد وعمرو " فالنمط الأول ينفي الجيء عن عمرو، بينما في النمط الثاني نجد أن الجيء كان من زيد وعمرو، وفي هذه الأنماط يتداخل الإيجاب من النفي والسياق الكلامي مع الأحوال التي ترتبط بها الأنماط التي توضح الإثبات والنفي في الجملة .
أما قولك : " ما جاءني إلا زيد " احتمل اختصاص زيد بالجيء ونفيه عن غيره .
أما قولك : " ما ضرب عمرو إلا زيدا " كان الغرض بيان المضروب زيد دون غيره فقدمت المرفوع .
أما إذا قدمت المنصوب وقلت : " ما ضرب زيدا إلا عمرو " كان الغرض بيان الضارب بأنه عمرو دون غيره .

ونخلص مما سبق إلى أن هناك تداخلا بين الإثبات والنفي اقتضاه ارتباط أدوات النفي بإيجاب السياق . فليس يخلو أي تركيب لغوي من الإثبات والنفي .
والمعول عليه في تحديد دلالاته ، وتجاوز ما عسر فهمه وانغلق عن المتلقي معرفة نية النمط المقصود الذي لا يجب أن ينقسم فيه المعنى عن المبنى ، دون إغفال تذوق مدلول السياق ، وتأثيره النفسي الذي يلعب دورا بارزا في نسج التراكيب في مثل هذه الأنماط .

• الاستفهام:

الاستفهام كما هو معروف من لدن أهل اللغة : هو طلب العلم بالشيء وحقيقته أو عدمه أو صفة لاحقة بها، وقد وظفه الجرجاني في الأنماط النحوية للجملة من سياقات لغوية خاصة ، تختلف باختلاف الحرف المستفهم به، والمقام الذي يقال فيه . ويرى الجرجاني الاستفهام بالهمزة "إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت : أنت فعلت ؟ ، فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : أبنيت الدار التي كنت نويت أن تبنيها ؟ ، أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقول؟ ، أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ؛ لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ؛ لأنك في جميع ذلك متردد في وجود

الفعل وانتفائه ، مجوّز أن يكون قد كان ، وأن يكون لم يكن".1

ويتبين من هذا القول أننا إذا قدمنا في جملة الاستفهام "الفعل" فإن الشك في الفعل، أما إذا قدمنا الفاعل فإن الشك في الفاعل وليس الشك في الفعل.

وينبه الجرجاني إلى ضرورة الاحتراز من بعض السياقات الاستفهامية التي تخالف السليقة العربية والتي تفسد القول كقولك : أبنت هذه الدار ؟ ، أكتب هذا الكتاب ؟ لأنه لا يصح أن تسأل عن شيء تراه أمام عينيك .

ويمكن أن تعوض الهمزة بمن كأن تقول : من قال هذا الشعر؟ ومن بنى هذه الدار ؟ والهمزة كما يرى الجرجاني تأتي للتقرير بفعل قد كان ، وإنكار له لم كان ؟ وتوبيخ لفاعله عليه . كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا

2. ﴿

فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم ، ونجد هنا تقديم المسند (الفعل) مع الاستفهام التقريري الإنكاري .

هذا فيما يتعلق باقتران همزة الاستفهام بالفعل الماضي ، أما الهمزة مع المضارع كقولك : أتفعل؟ أوأنت تفعل؟ " لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال . فإن أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي ، فإذا قلت:أتفعل؟ كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله . وكنت كمن يوهم أنه يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت: أأنت تفعل؟ كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل".2، وعلى هذا النسق نسوق الشاهد الآتي :

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ؟ الطويل

1- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز" ص.97

2- الآية 40 من سورة الإسراء .

3- عبد القاهر "دلائل الإعجاز" ص100.

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴾ 1.

" وجملة الأمر : أن تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار إلى ذات من قيل : " إنه يفعل " ، أو قال هو : "إني أفعل " ، وأردت ما تريده إذا قلت : " ليس هو بالذي يفعل ، وليس مثله يفعل " ، ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل فقلت : " أفعل ؟ " ألا ترى أن من المحال أن تزعم أن المعنى في قول الرجل لصاحبه : " أخرج في هذا الوقت ؟ أتغرر بنفسك ؟ أتمضي في غير الطريق ؟ " ، أنه أنكر أن يكون بمثابة من يفعل ذلك ، وبموضع من يجيء منه ذاك ؛ لأن العلم محيط بأن الناس لا يريدونه ، وأنه لا يليق بالحال التي يستعمل فيها هذا الكلام " 2.

ويستفاد مما تقدم أن تقديم الاسم على الفعل له أغراض عديدة يفرضها السياق كالتصغير في قولك : " أنت تمنعني ؟ " ، والتعظيم في قولك : " أهو يسأل فلاناً ؟ " وقد يكون للتعبير عن صغر القدر و قصر الهمة كقولك : أهو يسمح . بمثل هذا ؟ أهو مرتاح للجميل ؟ .

وبناء على ما تقدم من ذكرٍ للأنماط النحوية في جملة الاستفهام يتضح أن الجرجاني ركز على البنية التشكيلية للجملة دون أن يغفل الجانب الوظيفي للكلمة والسياق الموظفة فيه مركزاً على الاستفهام الذي له حق الصدارة. كما يرشدنا إلى القرائن التي تحدد ماهية الاستفهام ودلالته المتغيرة بتغير السياق والارتباطات التي يرد فيها .

1— الآية 28 من سورة هود

2— عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 102.

3. التشكيل الفرعي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني:

• التقديم والتأخير :

إن النظام اللغوي للعربية يحافظ على رتبة الخاصة بالنسبة لأجزاء الكلام طبقاً لأصل الرتبة في اللغة العربية التي تقوم على أساس أن يتقدم الفعل عن فاعله ومفعوله والمبتدأ عن خبره ، ولا تتغير مواقعها إلا بموجب قواعد خاصة يسمح بها النظام اللغوي لتغير الوظيفة النحوية كقواعد التقديم والتأخير الذي يفرضه المقام ، وكل تغير على مستوى الترتيب يترتب عليه حتما تغير في المعنى ، فينتقل من مستوى إلى آخر .

ومن منطلق حرص عبد القاهر الجرجاني على المعنى النحوي فصل القول في التقديم والتأخير : "هذا باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديةٍ ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروك مَسْمَعُهُ ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدّم شيء ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان " 1.

والتقديم عند الجرجاني نوعان : تقديم على نية التأخير ، وتقديم لا على نية التأخير .
أ. تقديم على نية التأخير : كتقديم الخبر على المبتدأ ، والمفعول على الفاعل كقولك : " منطلقٌ زيدٌ " و " ضرب عمرواً زيدٌ " . فالخبر منطلق لم يتغير حكمه الإعرابي رغم تقديمه والمفعول عمرواً لم يتغير وصفه الإعرابي رغم تقديمه .

ب. تقديم لا على نية التأخير : " وذلك أن تحيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له ، فتقدم تارة هذا على ذاك ، وأخرى ذاك على هذا " 2.
حيث تقول مرة : " زيد المنطلق " وأخرى " المنطلق زيد " فهنا تغير الرتبة يؤدي إلى تغير الحكم الإعرابي .

1— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص. 94

2— المصدر نفسه ، و الصفحة نفسها .

ومن أمثله كذلك قولك : " ضربت زيدا ، وزيدٌ ضربته " فلم تقدم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر .
فلو نظرنا في أجزاء الجملة وتأملنا الجزء الذي قدم فيها ، لرأينا أهم أجزائها ، ولم يقدم إلا لكونه الأهم ، وموضع عناية الناس وانشغالهم ، فالعناية والاهتمام أصل في كل تقديم ، إلا أنه ينبغي أن يمتد تأملنا على أبعد من هذا ، فنعرف سبب العناية ، ونقف على دواعي الأهمية ، وقد حذر الجرجاني من أن نقف عند العناية والاهتمام، وعدّها سبباً للتقديم دون أن ننقب عن دواعي الاهتمام ، ونفتش عن أسباب العناية .

يقول عبد القاهر : " وقد وقع في ظنون الناس يكفي أن يقال : " إنه قدم للعناية ، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهم؟ ولتحيلهم ذلك ، قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم ، وهونوا الخطب فيه ، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف . ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه "1.

ولمزيد من الإيضاح أورد الجرجاني المثال التالي : " قتل الخارجي زيدٌ " فتقدم المفعول به على الفاعل لأهميته عند القوم ، فالخارجي كان يخرج فيبعث في الأرض فسادا ، فكان القوم مهتمون بقتله ، لا بمن يقتله . حتى يأمنوا شره ، ويسلموا من أذاه .

ومن ثم راح الجرجاني يدعو إلى ربط هذه الأنماط بالأغراض والأحوال التي تلزمها دلالة الكلمات والسياقات الكلامية التي ترد فيها، ومراعاة العوامل النفسية وأحوال المتكلم والمتلقي .

كما يعيب الجرجاني على النحاة الذين لا يرون في التقديم إلا العناية والتوسعة، ويقسمون الكلام إلى ضربين مفيد وغير مفيد بقوله " واعلم أن من الخطأ أن يُقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيجعل مفيدا في بعض الكلام ، وغير مفيد في بعض ، وأن يُعلل تارة بالعناية

وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، تطرّد لهذا قوافيه ، ولذلك سجعه ،ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة،ولا يدل أخرى.فمّتي ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام ، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير ، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال .ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء، أن يدعي أنه كذلك عموم الأحوال،فأما أن يجعله بينَ بين فيزعم أنه للفائدة في بعضها، وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض ، فمما ينبغي أن يُرغب عن القول به.

هذا عن الإثبات ، أما إذا انتقلنا إلى التقديم والتأخير في حالة النفي : فنجد الجرجاني يرى أن التقديم والتأخير متعلق بالأغراض والأحوال التي تخص المتلقي ،والسياق الكلامي وهذا ما يظهر في تطبيقاته على سياق القصر ويورد في هذا الشأن مثالين أولهما : " ما ضرب زيداً إلا عمرو "و" ما ضرب عمرو إلا زيداً"ففي المثال الأول بيان للضارب والإخبار بأنه عمرو دون غيره،وفي المثال الثاني بيان للمضروب بأنه زيد . وعلى هذا الأساس فسر الجرجاني تقديم لفظ الجلالة في قوله تعالى : ﴿

وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ خَتَفُ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ 1.، خلاف ما يكون لو أخر . بقوله : " ...

علمت أن تقديم اسم الله تعالى إنما كان لأجل أن الغرض أن يبين الخاشون من هم ، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم ، ولو أخر ذكر اسم الله عز وجل ، وقدم (العلماء)فقليل:" إنما يخشى العلماء الله" لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن،ولصار الغرض بيان المخشي من هو؟والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره . ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء ، وأن يكونوا مخصوصين بها،كما هو الغرض في الآية، بل كان يكون

المعنى أن غير العلماء يخشون الله تعالى أيضاً ، إلا أنهم مع خشيتهم الله تعالى يخشون معه غيره ،
والعلماء لا يخشون غير الله تعالى "1.

وبعد بيان السر في تقديم المفعول به على الفاعل في الآية الكريمة يجب على البليغ أن يفقه كنه اللغة
ويراعي دلالة السياق والتراكيب حتى تخرج أبيته سليمة دقيقة لا تناقض فيها ، ولا تدافع ليتسنى على
المتلقي فهمها وإدراك مراميها ، وهذا لا يتأتى إلا بالدربة والتمرس على أساليب العربية .

وفي تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات وإيلائه أداة النفي "فلو قلت:" ما زيداً ضربتُ" و"ما بهذا
أمرتكَ " و"ما راكباً جاء زيد" أفاد نفي الفعل عن المقدم وإثباته لغيره ، وإذا ولي الفعل النفي ف قيل :
ما ضربت زيدا ، ما أمرتكَ بهذا " ، ما جاء زيد راكباً" ، أفاد ذلك نفي الفعل عن المتعلق المذكور دون
منازعة في غيره "2.

كما يوجه عبد القاهر إلى نمط آخر من صيغة النفي في قوله : "ومما ينبغي أن تعلمه أنه يصح لك أن
تقول : " ما ضربت زيدا ولكنني أكرمته" ، فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده ولا يصح أن
تقول : " ما زيدا ضربت ولكنني أكرمته ، وذاك أنك لم ترد أن تقول : " لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك ،
ولكنك أردت أنه لم يكن المفعول هذا ولكن ذاك ، فالواجب إذاً أن تقول : ما زيدا ضربت ولكن
عمرو "3.

أما فيما يتعلق في تقديم "مثل وغير" فيلزم تقديمهما إذا أريد بهما الكناية عما أضيفتا إليه كما في
قول أبي الطيب المتنبّي :

مِثْلُكَ يَثْنِي الْمَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمَ عَن غَرَبِهِ 4 السريع

1- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص251.

2-د/ بسيوني عبد الفتاح فيود "دراسات بلاغية" مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ط 01، 1989 م، ص75.

3- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص107.

4- "ديوان المتنبّي " شرح : عبد الرحمن البرقون ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض، السعودية ، ط1، 2002م، ج1، ص265 .

وقول الخارجي للحجاج عندما قال له : " لأحملنك على الأدهم ، يريد القيد " و " مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب " فلم يرد بمثل في هذه المسألة سوى الذي أضيفت إليه ، فالمراد في المثال الأول أنك قادر على كف الأحران وتفريج الكربات وفي المثال الثاني "أنت ترعى الحق والحرمة" ، وكذا القول في " غير " تقول : غيري يفعل ذاك بمعنى أني لا أفعله ..

ويقول أبو تمام : وَغَيْرِي يَأْكُلُ الْمَعْرُوفَ سُحْتًا وَتَشْحُبُ عِنْدَهُ الْأَيْدِي 1 الوافر
أراد أن يقول : أنا لا آكل المعروف سحتا ، ولم يرد أن يعرض بشاعر آخر ، لأن أبا تمام قصد أن ينفي عن نفسه قهمة أن يكون ممن يكفر النعمة فيهجو من أنعم عليه .

" ويرى الجرجاني أن "مثل وغير" دائما يقدمان على الفعل وهذا قانون عرفي سار عليه العرب لأنه إذا قدمتهما نبا المعنى وتغيرت صورته "2 وفي ذلك يقول : " واستعمال "مثل وغير" على هذا السبيل شيء مركوز في الطباع ، وهو جار في عادة كل قوم . فأنت الآن إذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يُقدمان أبداً على الفعل إذ نحي لهما هذا النحو الذي ذكرت لك ، وترى هذا المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدما. أفلا ترى أنك لو قلت : " يثني المزن عن صوبه مثلك " ، "ورعى الحق والحرمة مثلك " ، " ويحمل على الأدهم والأشهب مثل الأمير " و "ينخدع بغيري بأكثر هذا الناس " و " يأكل غيري المعروف سحتا " رأيت كلاما مقلوبا عن جهته ، ومُغَيَّراً عن صورته ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه "3

أما من حيث الاستفهام في مواطن التقديم والتأخير فالجرجاني ينبه إلى ضرورة أن يكون المتكلم واعيا ومدركا لدلالات التراكيب ، وما تطلبه الصياغة ويقتضيه النظم من مراعاة ترتيب أجزاء الكلام وفق ما يقتضي المعنى. فيرى أنه إذا قلت : " أزيذا تضرب ؟ " كنت أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب ، أو موضع أن يجترأ عليه ، أو يستجار ذلك فيه . ومن الشواهد التي ساقها

1- " ديوان أبي تمام " تقديم وشرح : الدكتور محي الدين صبحي ، المجلد الأول ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص216 .

2- صالح بلعيد " التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني " ص177 .

3- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص115.

الجرجاني في هذا المقام مبدئيا الحسن في تقديم المفعول به في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۚ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ 1. وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَتْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

2. ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ ﴾ ، بقوله: "وكان له من الحسن والمزية والفخامة، ما علم أنه لا يكون لو آخر فقيل : "قل أأخذ غير الله وليا؟" و"أتدعون غير الله؟" ، وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك : " أأكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا ؟ أو أيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ و أأكون جهل أجهل وعمي أعمي من ذلك؟ " ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل : أأأخذ غير الله وليا" وذلك لأنه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط ، ولا يزيد على ذلك".3

وخلاصة القول :إن دراسة عبد القاهر الجرجاني لباب التقديم والتأخير جاءت فريدة متميزة عن دراسات السابقين،" يكفي أنها استغرقت ثمانية وعشرين صفحة من دلائل الإعجاز،وقد ضمّنها شكواه من العلماء السابقين الذين لم يذكروا له غير العناية والاهتمام".4 ، والمستفاد من هذه الدراسة أن تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتبارا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع فني أو بعد نفسي .

1- الآية 14 من سورة الأنعام .

2- الآية 40 من سورة الأنعام.

3- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص104.

4- د/ أحمد جمال العمري" المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري" مكتبة الخانجي القاهرة، 1990م، ص257.

• الحذف :

يعد الحذف من شجاعة العربية 1 _ كما أشار ابن جني _ لأن وراءه أسرار ومزايا يدركها الخبير بأساليب الكلام ، والبصير بطرق القول ، فالتكلم يطوي جزءاً من أجزاء الكلام ، ولا يختل المعنى بهذا الطي ، بل يزداد الكلام حسناً ، وتكثر فوائده ومزاياه ، والخبير بطرق القول هو الذي يستطيع ممارسة هذا الفن من فنون الكلام، ويعلم مواطنه، ويعرف متى يستجاد ويدرك الإجادة .

والحذف كثير عند العرب ومتنوع فنرى حذف الكلمة حرفاً وفعلاً واسماً، مضافاً ومضافاً إليه ، فاعلاً ومفعولاً ، صفة وموصوفاً ، خبراً ومبتدأ... كما نرى حذف جزء من الكلمة وبقاء جزء ، ولا بد في كل حذف من دليل يدل على المحذوف ، ومن سر يقتضي الحذف .

وقد اهتم بدراسته النحاة و البلاغيون، وعلى رأسهم سيبويه الذي تعرض إلى الحذف، وبيان المحذوف والمواضع التي يكثر فيها ، وقد عقد أبواباً كثيرة للحذف ، من ذلك " ما يحذف منه الفعل لكثرتهم في كلامهم حتى صار بمنزلة المثال": وذلك قولك : هذا ولا زعماتك " أي : ولا أتوهم زعاماتك ، ومن ذلك قول الشاعر وهو ذو الرمة ، وذكر الديار :

دِيَارَ مَيَّةٍ إِذْ مَيُّ مُسَاعِفَةٍ وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ البسيط

كأنه قال: " أذكر ديار مية" ، ولكنه لا يذكر " اذكر" لكثرة ذلك في كلامهم ، واستعمالهم إياه ، ولما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك ، ولم يذكر : ولا أتوهم زعماتك لكثرة استعمالهم إياه ، ولا استدلاله مما يرى من حاله أنه ينهيه من زعمه . ومن ذلك قول العرب: كليهما وتمرأ، فهذا مثل قد كثر في كلامهم واستعمل وترك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام كأنه قال : " إعطني كليهما وتمرأ" 2.

أما أبو سعيد السيرافي (268هـ) فقد قال: " اعلم أن الشاعر يحذف ما لا يجوز حذفه في الكلام

1- ابن جني " الخصائص " تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، ص. 360.

2- سيبويه " الكتاب " تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1، ج1 ، ص 280_281 .

لتقويم الشعر كما يزيد لتقويمه" 1.

وله في ذي الرمة قولان :

أحدهما : أنه رخم مية للضرورة على ما تقدم القول فيه ، والثاني أن المرأة تسمى بمي ومية ، وهما اسمان لها ، فمرة يسميها بهذا ومرة يسميها بهذا 2.

أما إذا نظرنا إلى صنيع عبد القاهر في هذا الباب وجدنا أنه نفخ فيه الروح البلاغية، وبين مواطن المزية فيه فيقول مشيراً إلى قيمته: " هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتحدك أنطق مما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيان إذا لم تبين " 3، وهذا الكلام لا يصدر إلا عن رجل خبر اللغة وعرف أسرارها ، وأدرك أبعادها فتكشفت له مواطن جمال الحذف في كلام العرب منظومه ومنشوره.

وافتح حديثه عن الحذف على طريقة النحاة بعد إشارته إلى قيمته البلاغية، ويستشهد بما أورده سيبويه في هذه الأبيات :

اعتادَ قلبك من ليلي عوائده وهاجَ أهواءك المكنونة الطللُ
رَبُّعٌ قَوَاءٌ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتِ بِهِ وَكُلَّ حَيْرَانَ جَارٍ مَأْوُهُ خَضِلُ

فقال: أراد: ذاك ربع قواء أو هو ربع.

وهذه طريقة العرب أنهم إذا ذكروا الديار والمنازل يضمرون المبتدأ فيرفعون ، وقد يضمرون الفعل فينصبون كقول ذي الرمة الذي أورده سيبويه في كتابه ، وأشرنا إليه سابقاً.

ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ: "القطع والاستئناف"، يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر

1— أبو سعيد السيرافي "شرح كتاب سيبويه" تحقيق: أحمد حسن مهدي علي، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 ، 2008م، ص.205

2— المصدر نفسه ، ص203.

3— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص120.

بخبير من غير مبتدأ ، مثال ذلك قول عمرو الزبيدي:

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَذَا لَكَ مَنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَنَمَرُوا حَلَقًا وَقِدَا

ومما اعتيد فيه أن يجيء خبراً قد بينى على مبتدأ محذوف قولهم بعد أن يذكروا الرجل: "فتى من صفته كذا" و"أغر من صفته كيت وكيت" كقوله:

أَلَا لَا فَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى وَلَا عَرَفَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ
فَتَى حَنْظَلِي مَا تَرَالِ رِكَابَهُ تَجُودُ بِمَعْرُوفٍ وَتُنْكِرُ مِنْكَرَا الطويل
وقول إبراهيم بن عباس الصولي:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ الطويل
فَتَى غَيْرَ مَحْجُوبِ الْغَنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهَرِ الشُّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ 1.

وهذه الأبيات تبين طريقة العرب في الحذف ، وما اعتادوه من أساليب معينة ، استطاع الجرجاني أن يكشف عنها ، ويبرز مواضع الجمال فيها متخذاً النحو بطريقة فذة في خدمة البلاغة حيث يقول بعد الأمثلة التي ذكرناها وكثير مثلها: " فتأمل هذه الأبيات كلها واستقرها واحداً واحداً ، وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذ أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم قلبت النفس عما تجده ، و ألطفت النظر فيما تحسُّ به . ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه إلى لفظك، وثوقه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما الذي قلت ، وأن ربَّ حذف هو قلادة الجيد و قاعدة التجويد " 2.

ويذكر من لطيف الحذف قول بكر بن النطّاح:

الْعَيْنُ تُبْدِي الْحُبَّ وَالْبُغْضَا وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْضَا

1- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص. 122.

2- المصدر نفسه ، ص 123_124.

دُرَّة ما أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْضَى

غَضَبِي، وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى السريع

والشاهد في هذه الأبيات كلمة "غضبي" حيث وردت خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هي" وقد ساق عبد القاهر هذه الأبيات ليبين أثر الحذف في النفس التي تأنس بالإضمار وترى الملاحظة كيف تذهب بالذكر .

ويضع عبد القاهر الجرجاني تفسيراً لموضع حذف المفعول به ، ويربطه بحاجة المتكلم ، وصلة اللفظ بغيره ، لأن ارتباط الفعل بما يليه يشكل العلاقة الأساسية في الجملة الفعلية ، والحاجة إلى المفعول به لا بد منها إذا كان الفعل متعدياً . لأن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية من غير "أن يتعرضوا لذكر المفعولين " ومثال ذلك قول الناس: " فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع " والمعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة ، من غير أن يُتعرض لحديث المفعول، حتى كأنك قلت : " صار إليه الحل والعقد ، وصار بحيث يكون منه حل وعقد ، وأمر ونهي ، وضر ونفع " وعلى هذا القياس.1

وحذف المفعول به له محاسن وفيرة ، وغايات كثيرة ، وفوائد جليلة ، فهو ضرب من ضروب الصنعة لا يتأتى إلا لحذاق البلاغة. ومن شواهد قول البحتري :

شَجَوْ حُسَادِهِ وَغَيَظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاع 2 الخفيف

وقد حذف المفعول به لدلالة الحال عليه ، والمعنى أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أخباره وأوصافه، "وقد يحذف المفعول لدليل في سياق كلامي كما في قولهم "أصغيت إليه " وهم يريدون " أذني " لأنه مفهوم من المقام " 3.

وعلى ذلك قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

1- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص126.

2- "ديوان البحتري" دار صادر ، بيروت ، المجلد الأول ، ص.151

3- صالح بلعيد " التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص181.

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نَطَقْتُ ولكنَّ الرماحَ أَجَرَّتِ الطويل
والشاهد في هذا البيت " أَجَرَّت " فعل متعد حذف منه ياء المتكلم لدلالة الكلام السابق عليها (أنطقني) .

ومن شواهد في التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۚ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۚ ۝٢٤ ۚ ١. ففيه حذف مفعول في أربعة مواضع ، إذ المعنى : وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم ، أو مواشيهم ، وامرأتين تذودان غنمهما ، وقالتا لا نسقي غنمنا ، فسقى لهما غنمهما ، ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره . ويؤتى بالفعل مطلقا ، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي ، ومن المرأتين ذود ، وأنها قالتا : لا يكون منا سقي ، حتى يصدر الرعاء ، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقي ، فأما ما كان المسقي ، أغنما أم إبلا أم غير ذلك . فخارج عن الغرض وموهم خلافه ، وذلك أنه لو قيل : وجد منه دونهم امرأتين تذودان غنمهما ، جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود ، بل من حيث هو ذود غنم ، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود ... فاعرفه ، تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت ، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة ، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه " 2.

1- الآيتان 23_24 من سورة القصص.

2- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 130_131.

ويحذف المفعول به بعد فعل المشيئة بعد لو، وبعد حروف الجزاء ، حذرا من التكرير . 1 كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . 2 والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم .

ومجمل القول إن عبد القاهر الجرجاني يرى أن الحذف ظاهرة اجتماعية كثيرة الاستعمال عند العرب ، لأنها تعبر عن أغراضهم ومدى تفننهم في استخدام اللغة لتكون رائعة متجاوزة حدود التواصل ، فالحذف عند العرب لا يرد اعتباطا ، بل له مزايا ولطائف يدركها من تدرس على اللغة وامتلئ ناصيتها واستطاع أن يقف على مواطن الحذف ليكتشف أن أسباب الحسن والمزية في الحذف بدل الذكر .

ومن خلال دراستنا للنحو عند القاهر الجرجاني في هذا الفصل يظهر جليا أنه لا يفصل بين النحو والبلاغة ، بل يجعل النحو في خدمة البلاغة ، ويتجاوز حدود الإعراب وأواخر الكلم ، ليخلق في المعنى ويسبر أغوار السياقات المختلفة من تقديم وتأخير وحذف واستفهام ، ونفي ، وإثبات ... ليؤكد أن اللغة العربية لا يفصل فيها المعنى عن المبنى . وأن المزية في تخير التركيب المناسب للمقام والحال . وبذلك خالف عبد القاهر الجرجاني سنن السابقين في نظرهم إلى النحو . وهذا ما يقره جعفر دك الباب في قوله : " والواقع أن عبد القاهر يتطرق إلى مشكلة نحوية لا يبحث فيها بجد ذاتها ، ولكنه يتخذها منطلقا إلى ما هو أعمق للوصول إلى دالاتها ودورها

1- د/أحمد أحمد بدوي " من بلاغة القرآن " نهضة مصر للطباعة والنشر ، ص. 97

2- الآية 35 من سورة الأنعام .

في تأدية النمط المنوط بالرسالة التي يستقبلها المتلقي ، وليس بهدف أن يعلمنا الرفع والنصب والجزم فهذا مفروغ منه. إنما ينبهنا إلى معادن المعاني وتقرير حال الأوضاع، والمبادئ، وكيف تسري الأحكام في كل الأنحاء ، وبيان ارتباط البلاغة بغرض المتكلم الذي يقصد إليه من كلامه والمعاني التي أراد إثباتها أو نفيها". 1

1— جعفر دك الباب " الموجز في شرح دلائل الإعجاز " مطبعة الأهالي ، دمشق ، 1980 ، ص35.

الفصل الثالث

الدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني .

1. قضية اللفظ والمعنى قبل عبد القاهر الجرجاني.
2. رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار اللفظ.
3. رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار المعنى.
4. النظم في اللغة والاصطلاح.
5. الجذور التاريخية لنظرية النظم.
6. النظم عند عبد القاهر الجرجاني.
7. أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

- أ- النظم.
- ب- الترتيب.
- ت- الموقع.
- ث- التعليق.
- ج- الصياغة.

1. اللفظ والمعنى قبل عبد القاهر الجرجاني :

إن قضية اللفظ والمعنى مشكلة موهلة في تاريخ الدراسات البلاغية والنقدية، باعتبارها تمثل صورة من صور التفكير المنطقي للشعر واللغة، ولأنها كبرى القضايا التي شغلت الأقدمين منذ القرن الثالث الهجري. ولعل تاريخ هذه القضية يبدأ أساساً بعد نزول القرآن وحيرة العرب في تفسير أسباب إعجازه ، إضافة إلى نشاط الحركة العقلية والترجمات التي رافقت الفكر العربي في ظل الاحتكاك بالثقافات الأجنبية وبخاصة الفلسفة اليونانية. حينئذ بدأ التفكير في الألفاظ شيء منفصل عن المعنى ، أو في المعنى مجرداً من اللفظ ثم وضح هذا الانفصال عندما ظهر المتكلمون واشتد النزاع حول حقيقة الإعجاز.

وقد بدأت معالم قضية اللفظ والمعنى تتضح على شكل خطرات فيما أورده بشر بن المعتمر (210هـ) في صحيفته القيمة التي نقلها الجاحظ عنه في كتابه "البيان والتبيين"، ومما جاء فيها على سبيل المثال لا الحصر: "... وإياك و التوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنى كريماً فليلتبس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف هو اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما..."¹

ويجمع الباحثون على أن دارسي البلاغة والنقد انقسموا إزاء قضية اللفظ والمعنى إلى طوائف : أنصار لفظ، وأنصار معنى، وأنصار نظم . وسأحاول تتبع مواقفهم وعرض آرائهم على النحو التالي :

أولاً : الجاحظ: يحدد الجاحظ موقفه من قضية اللفظ والمعنى ، وموقف أحد البلاغيين فيقول: " وأنا

رأيت أبا عمرو الشيباني ، وقد بلغ من استجاداته لهذين البيتين :

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

1— الجاحظ " البيان والتبيين " ج1، ص135.

كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ السريع.

" وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى . والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير".¹

والظاهر من هذا القول أن الجاحظ يعيب على الشيباني احتفاءه بالمعنى لأنه يرى أن المعاني قدر مشترك بين الناس كوصف الرجل الجواد بالبحر ، والشجاع بالأسد... ولا يقصد المعاني التفصيلية والجزئية التي تحدث في نظم الكلام ضمن السياق. وعلى هذا الأساس فالجاحظ لا ينكر المعاني " ولعل الذي يحكم على نص الجاحظ بأنه من مناصري اللفظ على حساب المعنى قد جانب الصواب في تفسيره لمقصد الجاحظ كما وقع الكثير في هذا الظن ، إذ أن منطوق النص لا يقتصر على اللفظ وحده ، بل يعدد عناصر فنية تقتضيها صناعة الشعر ، وهي متنوعة كإقامة الوزن ، وهي من خصوصيات الشعر وإيقاعاته ، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج للصوت وجرسه ، وفي صحة الطبع وجودة السبك...".²

فالمعاني عند الجاحظ عامة ، أما المفاضلة فتكمن في اللفظ ، وليس اللفظ عنده مجرد كلمات تعبر عن فكرة، وإنما هو الصياغة بتعبير واسع المدلول أي "التعبير الفني" أو الصورة الشعرية. حيث يقول : "إنما الشعر صناعة وضرب من الصيغ ، وحسن من التصوير".³

1— الجاحظ " الحيوان " ج3، ص131.

2— د/ محمد عباس " الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني " ص.60

3— عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " قراءة و تعليق : محمد محمود شاكر (أبو فهر) ، مطبعة المدني ، بالقاهرة ، ط1 ، 1991 م ، ص05 .

ومن الشواهد التي أثبتت أن الجاحظ لا ينكر المعاني قوله أن هناك معاني لا يمكن أن تسرق كوصف عنترة للذباب:

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكَنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرْهَمِ
وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِحٍ غَرَدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَّثِمِ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِبِّ عَلَى الزِنَادِ الْأَجْذَمِ الكامل. 1

"فالجاحظ الذي لم يسمع في هذا المعنى بشعر يرضيه غير شعر عنترة يقرر أن الشاعر قد أجاد الوصف إلى الحد الذي تحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ، كما يقرر أن بعض المحدثين ممن كان يحسن القول قد تجرأ فعرض لهذا المعنى فأفسده وذلّ على سوء طبعه في الشعر". 2.

وقد تفتن الجاحظ بنظرته المتفحصة ، وذكائه الوقاد ، وهو يعالج قضية اللفظ والمعنى إلى مسألة هامة لها أثرها في البلاغة والنقد ؛ وهي أن لكل أديب ناثرًا أو شاعراً أدواته التعبيرية الخاصة به. وجملة الأمر أن بلاغة الكلام عنده هي المزاوجة أو الملاءمة بين اللفظ والمعنى، " والمزاوجة بين اللفظ والمعنى صريحة في أدبيات الجاحظ وفي نقده الذي يضمن به أسباب التوازن بينهما ، كقوله في البيان والتبيين مثلاً : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك " 3.

ثانياً : ابن قتيبة (276هـ)

نظر ابن قتيبة إلى قضية اللفظ والمعنى بمنظوره الخاص، فاللفظ عنده يعني النظم الممثل في اللفظ المفرد والوزن والروي. أما المعنى فيعني به الفكرة التي تبين عنها الأبيات. ويتضح مفهومه للفظ

1— "يوان عنترة" تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي ، دراسة علمية مخففة على ست نسخ مخطوطة ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الرياض ، السعودية ، ط3 ، 1996م ص97 .

2— د/ عبد العزيز عتيق " تاريخ البلاغة العربية " ص. 81

3— د/ محمد عباس " الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني " ص61.

والمعنى من خلال تعليقه على بيتين للمرقش عدهما الأصمعي من مختاراته وهما :

هَلْ بِالْدَّيَّارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لَوْ كَانَ رَسْمٌ نَاطِقًا كَلَّمُ
يَأْتِي الشَّبَابُ الْأَقْوَرِينَ وَلَا تَغْبِطُ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمُ السَّريع.

وقد علق على هذين البيتين بقوله: " والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيرته، وهو شعر ليس

بصحيح الوزن، ولا حسن الروي، ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى".¹

والمأمل لهذا التعليق يكشف أن ابن قتيبة يجعل للجودة والرداءة في اللفظ والمعنى مقاييس ومعايير،

اتضح بعد ذلك من خلال حصره للشعر في أربعة أضرب . حيث يقول : " تدبرت الشعر فوجدته

أربعة أضرب:

أ — ضرب منه حسن لفظه، وجاد معناه، كقول أوس بن حجر في ابتداء مرثية له:

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزْعًا إِنْ الَّذِينَ تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا 2 المنسرح.

وكقول أبي ذؤيب الهذلي من مرثية أولاده:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا فَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ 3 الكامل .

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: " هذا أبدع بيت قالته العرب ".⁴

ب — وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول القائل:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِي رِحَالُنَا وَلَا يَنْظُرُ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ 5 الطويل

ويلحق ابن قتيبة على هذه الأبيات بقوله: " هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع

1— ابن قتيبة "الشعر والشعراء" راجعه وأعد فهرسه: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1994م، ج5، ص1، ص90.

2— "ديوان أبو أوس بن حجر" تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ص. 53.

3— "ديوان أبي ذؤيب الهذلي" تحقيق: أنطونيوس بطرس، ط1، 2003م، ص145.

4— ابن قتيبة "الشعر والشعراء" ص64_66.

5— "ينظر ملحق ديوان كثير غزوة" تحقيق: إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ص525.

ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعلينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي في الأبطح". 1.

ج — وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتبَ الحرَّ الكريمَ كنفسهِ والمرءُ يصلحُ المجلسُ الصالحُ 2 الكامل.

ويعلق عليه ابن قتيبة بقوله: هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق. 3.

د — وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى:

وقد غدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني شاوٍ مثلُ شلؤلٍ شلشُلٍ شولٍ 4 البسيط .

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد ، وقد كان يستغنى بأحدها عن جميعها. 5.

والواضح من خلال هذه التقسيمات، وتفضيله لبنت أبي ذؤيب لأنه احتوى على الحسن والجودة في عنصريه اللفظ والمعنى ، أن ابن قتيبة كان يذكر الضرب ويمثل له بأسلوب تقريرى خال من التعليل، وأن المعنى عنده لا يعدو أن يكون معنى أخلاقياً مفيداً. " ليست معاني الشعر المطلقة متضمنة حسن التعبير عن الحال والموقف أو التصوير للشيء تصويراً فيه إشباع لحس الشاعر وشعوره". 6.

ويريد ابن قتيبة باللفظ " التأليف والنظم: يريد الصياغة كلها بما تضمه من لفظ ووزن وروي ويريد بالمعنى الفكرة التي يبين عنها البيت أو الأبيات". 7 ، وبذلك فإن ابن قتيبة قد سوى بين عنصريه "اللفظ والمعنى" ظاهرياً إلا أن تسويته بينهما ليست على أساس انصهار أحدهما في الآخر ، بل هي تسوية شكلية لا أكثر أهملت الشكل على حساب المعنى الخلقى.

1- ابن قتيبة " الشعر والشعراء" ج1، ص 66 .

2- " ديوان لبيد بن ربيعة" دار صادر، بيروت ، ص 224.

3- ابن قتيبة " الشعر والشعراء" ص 67.

4- " ديوان الأعشى" دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 2003 م ، ص 147.

5- ابن قتيبة " الشعر والشعراء" ص 68.

6- د/ زغلول سلام" تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري " دار المعارف القاهرة ، ج2، ص 116.

7- طه إبراهيم"تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري" دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 1985 ص 118.

وخلاصة الرأي في ابن قتيبة أنه وإن أدرك لحمة المعنى واللفظ في إطار الصياغة الواحدة إلا أنه ظهر مشدودا إلى الشائبة أيضا ، وربما كان ارتكازه في بحث المعنى على قيمته الأخلاقية سبباً في ترسيخ هذا المبدأ وتعطيل إمكانات مواجهة النص في ذاته والمصادرة على السياق وحده .

ثالثاً : ابن طباطبا (322هـ)

تناول ابن طباطبا العلاقة بين اللفظ والمعنى في عيار الشعر كعلاقة الروح بالجسد ، وهو ينسب هذا الرأي إلى أحد الحكماء: "الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه ، كما قال بعض الحكماء : " للكلام جسد وروح ، فجسده النطق وروحه معناه "1 وذلك رأي يجعل الصلة بين اللفظ والمعنى أوضح مما رسمه ابن قتيبة ، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى عند ابن طباطبا علاقة حيوية أساسها التآزر الحيوي بين العنصرين ، بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، وبحيث يتأثر كل منهما بصاحبه قوة وضعفا دون تمييز لأحدهما عن الآخر، وفي هذا الشأن يقول: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها ، فتحسن فيها ، وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض ، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه ، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه ... وكم من جوهرة نفيسة قد شينت بقريئة لها بعيدة منها فأفردت عن أخواتها المشكلات لها ... وكم من حكمة غريبة قد ازدريت لثرثثة كسوتها ، ولو جللت في غير لباسها ذلك لكثير المشيرون إليها... "1.

رابعاً : أبو هلال العسكري (395هـ)

سار أبو هلال في معالجته لقضية اللفظ والمعنى على نهج سابقيه كالجاحظ وقدامة بن جعفر مرددا أقوال الجاحظ . مهتما بالشكل رافعا من قيمته واجدا إياه مجال البراعة والجودة في الأدب،

1— محمد بن أحمد العلوي بن طباطبا " عيار الشعر " تحقيق : الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1980، م، ص 19.

2— المصدر نفسه، ص 11.

والفصاحة عنده محصورة على اللفظ دون المعنى ، وكأن البلاغة مقصورة على المعنى لأن مهمتها إنهاء المعنى إلى القلب. " فمن شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا ... ومن قال: إن البلاغة إنما هي إفهام المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة، واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة سواء ... "1. فالبلاغة هي إيضاح المعنى وتحسين اللفظ.

وأبو هلال يميز بين الكلام جيده من رديئه إذ يقول : " إن الكلام-أيديك الله- يحسن بسلاسته ، وسهولته ونصاعته وتخير ألفاظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه ، وتعادل أطرافه ، وتشابه أعجازه بهواديته ، وموافقة مآخيره لمبادئه ، مع قلة ضروراته بل عدمها أصلا، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه ، وكمال صوغه و تركيبه ، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليعا".2

والواضح من هذا القول أن الصفات التي ذكرها للكلام الجيد ترجع إلى الشكل الخارجي أي "الألفاظ دون المعاني"، وأن المزية البلاغية كامنة في اللفظ ، وأن المعاني ملك لكل أديب. ويذكر مقولة الجاحظ قائلا : " وليس الشأن في إيراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفنا من نعوته التي تقدمت".3

1- أبو هلال العسكري "الصناعتين (الكتابة والشعر)" تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1981م ص12_13.

2- المصدر نفسه، ص55.

3- المصدر نفسه، ص57_58.

إلا أن أبا هلال لا يهمل المعنى فنراه يقول: "ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً، والألفاظ إذا اجترت قسراً، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سحق معناه، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور القصد".¹

وعلى الرغم من أن أبا هلال العسكري قد صرح بتلازم اللفظ والمعنى في الحسن والمزية ، فإننا نجده يقنع من المعنى بالإصابة ، ولا يقنع من اللفظ بذلك ، بل لابد من تجويده وتحسينه وحسن اختياره . ولعل قناعة أبي هلال بصواب المعنى دون اللفظ ، مردها إلى عبارة الجاحظ : " والمعاني مطروحة في الطريق... " ولكن فاتته أن الجاحظ لم يرد بالمعاني المطروحة: معاني الشعر القائمة على الإيحاء والإثارة والتصوير بل أراد بها: المعاني العامة كالفضائل والمعاني الخلقية.. وهذه المعاني هي التي يقنع منها بالإصابة، أما معاني الشعر فينبغي أن يحرص على إجادتها ، وبلوغها الغاية في الإيحاء والتأثير".² لذلك فإن فهمه للبلاغة على أنها (إيضاح المعنى وتحسين اللفظ) يفهم منه أن اللفظ والمعنى شرطان أساسيان للبلاغة التي لابد فيها من التصوير والوضوح . فالوضوح يتصل بالمعنى ، والتصوير يتصل باللفظ وجودته، لذلك فإن "الذي نأخذه عليه وعلى من عمد إلى الفصل بين اللفظ والمعنى بحافته ومحافة هؤلاء للحركة العقلية التي يحس بها الأديب إذا كتب، أو شعر. إن الأديب لا يقف أمام المعاني وحدها، ولا أمام الألفاظ الملائمة لها ، فالتفكير في اللفظ والمعنى تفكير جمعي ، يفكر فيه الأديب مرة واحدة ، وبحركة عقلية واحدة".³

1- المصدر السابق، ص. 60.

2- د/بسيوني عبد الفتاح فيود "دراسات بلاغية" مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1989م، ص35.

3- د/ أحمد علي دهمان "الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهاجاً وتطبيقاً" دار طلاس، دمشق ط1، 1986م، ج1، ص190.

خامسا : ابن رشيق القيرواني (413هـ)

ربط ابن رشيق بين اللفظ والمعنى فجعلهما متلازمين ملازمة الروح للجسد ، مترابطين ترابط الثوب بمادته. فلا يمكن الفصل بينهما بحال، قائلاً : " اللفظ جسم روحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور، وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه، كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذي كان يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ، ولا يفيد فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة . وتلاشى لم يصح له معنى ، لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة".¹ ويتضح من خلال هذا القول أن اللفظ والمعنى متلازمان، وأن ضعف أحدهما يستلزم ضعف الآخر ، واختلال أحدهما يفسد الآخر، ويجعله ميتا لا فائدة فيه ولا ثمرة له، أما الحسن الذي يبقى في السمع للألفاظ التي اختل معناها فهو حسن لا يعتد به في التراكيب عن فساد المعنى. فابن رشيق ينشد المزية الكائنة وراء التراكيب والصيغ. "وبعضهم وأظنه ابن وكيع مثل المعنى بالصورة، واللفظ بالكسوة ؛ فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ، ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مبصرها" ، و "المعنى مثال، واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ، ويثبت بثباته".²

1— ابن رشيق "العمدة" تحقيق : محمد قزقران ، دار المعرفة بيروت ، ط1، 1988م، ج1 ، ص252.

2— المصدر نفسه ، ج1 ، ص256.

والملاحظ على ابن رشيق أنه يميز سلامة المعنى مع اختلال اللفظ، واستقلال الروح عن الجسد مع تأكيده على ترابطهما فيرى في أن العور، والشلل، والعرج وما أشبه ذلك عيباً حتى وإن سلمت الروح ، وعليه يكون للروح جمال ، وللجسد جمال ، وهذا دليل على أنه لم يتعمق فكرة العلاقة بين اللفظ والمعنى، ولم يفهم أن ما يؤثر في أحدهما لابد أن يؤثر في الآخر، فدراسته للفظ والمعنى لم تكن دراسة علمية مشفوعة بالتدليل والتحليل، ولو فعل ذلك لكانت دراسته النموذج البكر للقضاء على ثنائية اللفظ والمعنى، كما يقول العشماوي: "أن تقضي على هذه الثنائية التي شاعت بين اللفظ والمعنى أمداً طويلاً، ولكن ابن رشيق لم يعالج هذه القضية في كتابه على أسس منهجية ذوقية كما فعل عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم".¹

وبعد هذه المرحلة الموجزة في كنف دارسي "قضية اللفظ والمعنى" من كبار النقاد والبلاغيين يتبين لنا أن معالجتهم لهذه القضية كانت منصبة على أساس الفصل بين اللفظ والمعنى ، وفاتهم أن عملية الإبداع الأدبي تقتضي التلازم بينهما ، كما مال أغلبهم إلى العناية بالشكل الخارجي فأضحى الشعر عندهم ضرباً من الصناعة وبذلك قدموا اللفظ وأخروا المعنى . ولم يفهموا طبيعة اللغة والشعر فهماً دقيقاً ، حيث اعتمدوا في تطبيقاتهم وتحليلهم على نتف الأبيات دون النظر إلى القصائد الكاملة ، وبذلك افتقرت دراستهم إلى المنهجية العلمية التي تتناول الشكل والمضمون معاً. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن آراء بعض الدارسين سيطر عليها الأسلوب المنطقي والفلسفي. فنظروا إلى اللغة نظرة منطقية جافة أهملت الخيال والعاطفة، وركزت على ثنائية اللفظ والمعنى ، وجعلت المفاضلة بينهما كمعيار للاستحسان والاستهجان في تقدير العمل الأدبي.

1— د/ محمد زكي العشماوي "قضايا النقد الأدبي والبلاغة" دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الإسكندرية، مصر ، 1968م، ص294.

2. رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار اللفظ :

شعر الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالخطر على البلاغة ومستقبلها نتيجة تعصب الطوائف المختلفة لآرائها فهناك من يرى أن المزية في العمل الأدبي ترجع إلى اللفظ ، وهناك من رجّح كفة المعنى على حساب اللفظ... وهذا ما رفضه عبد القاهر الجرجاني وأبى أن يقدم نظريته ومفاهيمه في البلاغة القائمة على الأسس العلمية، والحجج الدامغة. وبدأ أول ما بدأ بأنصار اللفظ : " لو كان وصفهم الألفاظ المفردة بالفصاحة من أجل وصفهم هو لها من حيث هي ألفاظ ونطق لسان لوجب إذا وجدت كلمة يقال إنها كلمة فصيحة على صفة في اللفظ أن لا توجد كلمة على تلك الصفة إلا وجب لها أن تكون فصيحة.."1

وبهذا فالفصاحة ليست مجموعة من الخصائص تتعلق باللفظ المفرد في ذاته كما يزعم أنصار اللفظ أن توجد في كل لفظ اجتمعت فيه تلك الخصائص ، و لما فارقت الفصاحة. ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، إذ لو كان " نقهت الحديث بالكسر أفصح منه بالفتح أن يكون سبب كل فعل مثله في الزنة أن يكون الكسر فيه أفصح من الفتح".2

ومن ثم فالحكم على اللفظ بالفصاحة أو عدمها عملية نفسية "فنحن الذين نتمثل في اللفظ المهابة أو الدمثة ، و إلا فهي بعيدة كل البعد عن هذه أو تلك".3 ، ومن ثم " لا نملك إلا أن نصف هذه الألفاظ بأوصاف حسية لعبت فيها الحواس من قبل دورا ملموسا".4

إلا أن عبد القاهر رفض هذا المنطلق كأساس للفصاحة بقوله: " محال أن تكون صفة في اللفظ

1— عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص353.

2— المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3— د/ عز الدين إسماعيل "الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة"، دار الفكر العربي القاهرة ، مصر ، ط2، 1968 م، ص.206

4— المرجع نفسه، ص207.

محسوسة لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصح في العلم بكونه فصيحاً ، وإذا بطل أن تكون محسوسة ، وجب الحكم ضرورة بأنها صفة معقولة ...¹ ، والحقيقة أن علاقة الناس مع الألفاظ تختلف من شخص إلى آخر، ذلك أن لفظاً واحداً قد يلاقي الاستحسان من شخص ، ويلاقي الكراهة من شخص آخر وهكذا دواليك نتيجة للتجربة المختلفة مع اللفظ . ولأن كل واحد ينطلق من تجربته الخاصة في الحكم بالجودة أو الرداءة على الألفاظ .

ولعل ذلك هو السبب الذي جعل عبد القاهر ينظر إلى الألفاظ نظرة لا تفاضل فيها من حيث هي ألفاظ مفردة، إلا إذا انتظمت في سلك، وانضمت هذه إلى تلك فوافقت معنى جارقتها، وعندئذ تصبح بموقعها من العبارة أفصح وأفضل من غيرها 2.

فاللفظ وإن اعترف له ببعض المزية في حصول البلاغة لا يمكن بحال أن يكون معتمد الحكم وأساسه: "واعلم أننا لا نأبي أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان، داخلاً فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز و إنما الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده، ويجعله الأصل والعمدة".³

وقد اعترف الجرجاني للفظ ببعض المزية في مواطن قليلة ، ومن الأدلة التي ساقها أن القول بفصاحة اللفظ في ذاته يقتضي ، من جهة العقل ، "وأن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال".⁴ وألا تتغير قيمة اللفظ الفنية بتغير السياق الذي ترد فيه في حين أن نفس الكلمة " تروك

1- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص311.

2- أحمد أحمد بدوي " عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية " المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بدون تاريخ ص96 ، 100 .

3- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص401 .

4- المصدر نفسه، ص307.

وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر".1
وقد حاول تأكيد حكمه بالاعتماد على شواهد شعرية تكررت فيها نفس الكلمة مع فارق في التأثير، " إلا أن أحكامه جاءت انطباعية لا تستند إلى معطيات ملموسة ، والأرجح أنه اهتدى فيها بآراء النقاد السابقين " . 2 ومثال ذلك لفظ " الأخذع " فإن لها في قول البحتري :
وَإِنِّي وَإِنْ بَلَغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَالِعِ أَخْدَعِي 3 الطويل
" ما لا يخفى من الحسن " أما في بيت أبي تمام :
يا دهرُ قومٍ من أخدعِكَ فَقَدْ أَضَجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ المنسرح
فلها " من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والإيناس والبهجة " .4
وكما يقتضي القول بفصاحة اللفظ في ذاته أن تكون فصيحة حيثما وردت ، ويتساوي الناس في العلم بفصاحتها لأن ما سبيل إدراكه الإحساس لا يختلف من شخص إلى آخر لأن الناس يتفاوتون في المدركات العقلية دون غيرها.
" لا تخلو الفصاحة من أن تكون صنعة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع ، أو تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب . محال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة ، لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحاً . وإذا بطل أن تكون محسوسة وجب الحكم ضرورة بأنها صفة معقولة ، وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة، فإننا لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلا دلالاته على معناه " .5

1- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص38 _ 39.

2- حمادي صمود " التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس " المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1981م ص467 .

3- "ديوان البحتري " المجلد الأول ، دار صادر بيروت ، ص106.

4- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص39.

5- زكي نجيب محمود "المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري" مطبعة دار الشروق، بيروت ص264.

ولو كانت الفصاحة في اللفظ من حيث هو مجموعة أصوات لوجب أن تنطبع في ذهن السامع لمجرد نطق اللفظة ، ولما كنّا ننتظر حتى يتم النطق بالسياق كله لنحكم له بالفصاحة ، " إن القارئ إذا قرأ قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ

بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾¹ فإنه لا يجد الفصاحة التي يجدها، إلا بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره. فلو كانت الفصاحة صفة للفظ "اشتعل" لكان ينبغي أن يحسها القارئ في حال نطقه به ، فمحال أن تكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة إلا من بعد عدمه، ومن ذا رأى صفة يعرى موصوفها عنها في حال وجوده، حتى إذا عدم صارت موجودة فيه، وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه صفة ، شرط حصولها لموصوفها أن يعدم الموصوف² .

ومن كل ما تقدم يتضح أن الجرجاني ينفي نفي الواثق من صحة فكرته ما زعمه أنصار اللفظ قائلًا : " وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعنى جارقتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها ، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم. وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للثانية في مؤداها " . 3 ، فالشأن إذا في اختيار المكان المناسب للفظة و إلا كانت قلقة نابية ، ومستكرهة سمجة ، لا شيء إلا لأنها لم تنزل في الموضع الذي به أخص ، ولم تتفاعل دلالتها مع دلالات الألفاظ المجاورة لها في السياق، وبالتالي يحدث سوء تلاؤم ، ويختل الترابط بينها وبين جارقتها، ومن ثم لا تؤدي وظيفتها في بنية السياق ولا تعبر عن مراد المتكلم .

1- الآية 04 من سورة مريم.

2- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص292.

3- المصدر نفسه ص36.

وقد تصدى الجرجاني إلى شبهة زعم أنصار اللفظ أن القدماء قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ، وأن حظ اللفظ من الفصاحة أمر وارد، مثله في ذلك مثل المعنى. بما مفاده أن سبب اختصاص اللفظ بالفصاحة يرجع إلى كون المعاني المعبر عنها لاسبيل إلى ظهورها عدا طريق الألفاظ، ومن هنا تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني في النفس بترتيب الألفاظ في النطق أو الكتابة ، ثم بالألفاظ بعد حذف الترتيب ثم أتبع ذلك من الوصف والنعته ، ما أبان الغرض ، وكشف عن المراد". 1

ومما قاله أنصار هذا التيار أيضاً " إن الفصاحة تكمن في التلاؤم اللفظي ، وتعديل مزاج الحروف لاغير ، وذلك حتى لا تتلاقى في النطق فتثقل على اللسان، ومثلوا لذلك بقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر السريع

كما مثلوا لهذا أيضاً ، بالشطر الثاني من بيت ابن يسير:

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس زهول 2. الخفيف

يضعف الجرجاني هذه الشبهة ، ويشبهه من يتشبث بها كمن يقدم على القول من غير روية ولا تدبر". 3 ، فالتنافر بين الحروف أو الكلمات لا صلة له بحسن الأداء ، ولا يمس الكلام من ناحية وضوح دلالاته، ولا ينقص من قيمته البيانية كثيراً، فدلالة البيت السابق واضحة كل الوضوح على الرغم من تنافر الكلمات.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص. 51-50

2- المصدر نفسه، ص. 46-45 .

3- المصدر نفسه، ص. 45.

ومن قولهم كذلك : أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بلفظين ، ثم يكون أحدهما أفصح من الآخر، وهو ما يوجب _ حسب رأيهم _ أن تكون اللفظة قيمة بلاغية في ذاتها لأنها لو كانت مقصورة على المعنى لكان محالاً أن نحكم لأحد اللفظين بالفصاحة دون الآخر ونجعل له مزية عليه، مع أن المعنى واحد "1. وفي أسرار البلاغة نقض الجرجاني الآراء التي تعول في الحكم بالجودة الفنية على اللفظ في ذاته لا في معناه لأن " من نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين"2.

ويتضح من كل ما سبق أن المعول عليه في الفصاحة هو الصياغة ، التي تثري الصورة بخصوصية تؤثر بها في نفس الملتقي ، وتبعث فيه الإعجاب . وأن مدار الاستحسان في اللفظ لا يتجاوز نمطاً واحداً حيث يقول : " وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، وكونه من أسبابه ودواعيه، فلا يكاد يعدو نمطاً واحداً ، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم و يتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً غريباً أو عامياً سخيلاً... "3 .

3. رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار المعنى :

لم يرض عبد القاهر عن رأي من نصر المعنى في عموميه ليحكم على الجودة والرداءة في العمل الأدبي بحسب معناه. ويستوي في ذلك عنده من فضل القول لشرف معناه إذا كان أدباً أو حكمة كابن قتيبة أو كان غريباً نادراً كتفضيل أبي عمرو الشيباني للبيتين الذين ذكرهما الجاحظ في كتابه الحيوان ، أو من أجل معناه عامة ولو كان ركيك الصياغة ضعيف النسيج . ويدحض شبهة

1- المرجع السابق ، ص170_171.

2- عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " ص.8.

3- المصدر نفسه، ص.4.

من يرد البلاغة إلى المعنى بقوله: "واعلم أن الداء الدوي و الذي أعى أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى ، إلا ما فضل عن المعنى يقول : ما في اللفظ لولا المعنى، وهل الكلام إلا بمعناه؟ فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر فإن مال إلى اللفظ شيئا ورأى أن ينحله بعض الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة أحسنت بمجرد كونها استعارة أم من أجل فرق ووجه، أم للأمرين؟ لا يحفل بهذا وشبهه، قد قنع بظواهر الأمور، وبالجمل وبأن يكون كمن يجلب المتاع للبيع ، إنما همه أن يروج عنه ... واعلم أنا وإن كنا إذا اتبعنا العرف والعادة ، وما يهيجس في الضمير، وما عليه العامة أرانا ذلك أن الصواب معهم وأن التعويل ينبغي أن يكون على المعنى وأنه الذي لا يسوغ القول بخلافه ، فإن الأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق ، وإلى ما عليه المحصلون لأنا لا نرى متقدما في علم البلاغة مبرزاً في شأوها إلا هو ينكر هذا الرأي، ويعيبه ويزري على القائل به ويغض منه". 1

والواضح من خلال هذا النص أن الإمام الجرجاني لا يهتم كثيرا بنوعية المعاني. حكمة أو فضيلة، أو معنى غريب نادر. بقدر ما يهتم بصياغة هذه المعاني في بنى لغوية وظيفية تعبر عن غرض المتكلم تتجلى من خلالها جميع عناصر هذه المعاني . كما ينفي أن تنحصر البلاغة في نوع من الاستعارة أو التشبيه، لأن ذلك لا يدخل في خصائص الكلام الذي يعول عليه في الإعجاز، "فهو ينكر أن يكون للمعنى فضل على اللفظ وإن تضمن هذا المعنى حكمة أو أدبا ، أو اشتمل على تشبيه غريب إذ لا مزية في معنى من دون صياغته ، فالسابقون ينكرون رأي من قدم الشعر بمعناه". 2

1- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص 194-195.

2- د/ أحمد علي دهمان، "الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا" دار طلاس، دمشق، ط1، ج1، ص201.

فالتصوير والصياغة هما سبيل الكلام، والمعنى هو الذي يقع فيه التصوير فهو كالفضة أو الذهب مادة للفن، والمزية في الكلام لا تكون في النظر إليه بمجرد معناه فقط " واعلم أنك لست تنظر في كتاب صُنّف في شأن البلاغة وكلام جاء عن القدماء إلا وجدته يدل على فساد هذا المذهب . ورأيتهم يتشددون في إنكاره وعييه ، والعيب به وإذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ ، ويتشدد غاية التشدد وقد انتهى في ذلك إلى أن جعل العلم بالمعاني مشتركا وسوى فيه بين الخاصة والعامة " . 1

وقد يبدو أن عبد القاهر الجرجاني متناقض في موقفه فهو تارة يعطي الأهمية للفظ ويهاجم أنصار المعنى، وتارة أخرى يعطي الأهمية للمعنى ويهاجم أنصار اللفظ، فأبي المعاني عنها الجرجاني بقوله، ودعا إليها وأبي المعاني هاجمها ودعا إلى تلافيتها؟، وما هو الكفيل بتحقيقها ؟ أهي الألفاظ المفردة أم الألفاظ بعد دخولها في التأليف؟

الواقع أن الإمام الجرجاني لا يقصد بالمعاني هنا مدلولات الألفاظ المجردة، فقد هاجم أنصارها بل يقصد بالمعاني " المعاني الإضافية التي تلتصق في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس، وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند والمُسند إليه، وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال وفي الفصل والوصل وفي القصر وفي الإيجاز والإطناب ... " 2

وجملة القول إن عبد القاهر الجرجاني لا يفصل بين اللفظ والمعنى لأن العلاقة بينهما علاقة جدلية لا انفصام لها . وينطلق من التسليم بتطابق المفهومين ، لذلك تركّز جهوده على مناقشة ما ترتب عن الفصل بينهما من مبالغات في تقدير دور اللفظ ونصرته على المعنى أو تقدير المعنى ونصرته على اللفظ فكانت مسألة اللفظ والمعنى من المسائل الطاغية على كتابيه، تكاد تلامس كل ما تطرق إليه بالدرس والتحليل .

1- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص197.

2- شوقي ضيف " البلاغة تطور وتاريخ " ص189.

ولا عجب في ذلك فاللفظ والمعنى هما عماد الظاهرة اللغوية". 1

والجرجاني لم يولِ المعنى أهمية خاصة على حساب اللفظ لأن في ذلك إنكار للإعجاز وبطلان التحدي ، حيث يقول : " وذلك أنه إن كان العمل على ما يذهبون إليه من أن لا يجب فضل و مزية إلا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة أو أدبا واستخرج معنى غريباً أو تشبيها نادراً، فقد وجب إطراح جميع ما قاله الناس في الفصاحة والبلاغة ، وفي شأن النظم والتأليف، وبطل أن يجب بالنظم فضل وأن تدخله المزية وأن تتفاوت فيه المنازل". 2، ولا يرضى كذلك أن يكون من أنصار اللفظ "إذ أن هؤلاء يجهدون أنفسهم في الكشف عن حسن الكلام في حسن ألفاظه ذاتها، ويذهبون في ذلك إلى تناسي المعاني التي تدل عليها الصياغة الأدبية كما يغفلون قيمة هذه الصياغة وربطها بدقائق الصورة المقروءة. ويظهر أن الأمر قد انتهى باللفظيين من معاصري عبد القاهر إلى الافتتان بالألفاظ _ التي هي وسائل _ عن المعنى الذي تستخدم الألفاظ لبيانه . وإلى هذا يلجأ من ليس لديهم كبير معنى فيحاولون ستر فقرهم في الفكر بطوفان الألفاظ من الألفاظ الطيبة الجرس، وبصور تغشي العيون وتبهر الأبصار دون أن تبين عن معنى ذي بال" 3

وختاماً نقول إذا كان عبد القاهر الجرجاني لا يرضى أن يكون من أنصار اللفظ على حساب المعنى ، ولا من أنصار المعنى على حساب اللفظ ، ويقر أنه من أنصار النظم . فما هو النظم؟ وما هي جذوره التاريخية؟ وما هو مفهوم النظم و أسسه عند عبد القاهر الجرجاني؟.

4. النظم في اللغة والاصطلاح:

النظم: التأليف، نظمُه ينظمه نظماً ونظاماً، نظمُه فانتظم وتنظَّم، ونظمت اللؤلؤ: أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظَّمته. وكل شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض فقد نظمته. والنظم : المنظوم ، وصف بالمصدر. والنظم: ما نظمته من لؤلؤ و خرز وغيرهما

1— حمادي صمود" التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس" المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981، ص. 460

2— عبد القاهر الجرجاني، " دلائل الإعجاز" ص 198.

3— محمد غنيمي هلال " النقد الأدبي الحديث" مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 5، 1971م، ص 270_271.

واحدته نظمة ونظم الحنظل :حبه صيصانه. والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبه منه وأصله نظام . ونظام كل أمر : ملاكه ، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم. والنظام : الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام وجمعه نظم . 1

ويقال: نظمت الدر ونظمتها، ودر منظوم ومنظم ، و قد انتظم وتناظم ، وله نظم منه ونظام ونظم ، ومن المجاز: نظم الكلام. وهذا نظم حسن، وانتظم كلامه وأمره وليس لأمره نظام وإذا لم تستقم طريقته، ونقول :هذه أمور عظام لو كان لها نظام ،ورمى صيدا فانتظمه بسهم .وطعنه فانتظم سافيه أو جنبيه ؛ وجاءنا نظم من جراد ونظام منه : صف ، ونظمت الضبة والسمة ونظمت فهي ناظم ومنظم : امتلأت من البيض . ونظمت النحلة : قبلت اللقاح . 2

ونظم الأشياء نظما: ألفها وضم بعضها إلى بعض ، نظم اللؤلؤ ونحوه : جعله في سلك ونحوه، وانتظم الشيء : تألف واتسق ،يقال نظمه فانتظم . ونظم الأشياء جميعها وضم بعضها إلى بعض وتناظمت الأشياء : تضامت وتلاصقت، ويقال : نظم القرآن: أي عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة. 3

هذه أهم المعاني التي وردت في معاجم اللغة عن مادة (نظم) وهي تعني في مجملها الاتساق والائتلاف ، الأمر الذي من شأنه أن يهدينا إلى رد تلك المعاني إلى المدلول الأصلي لمادة (نظم) التي يدل عليه مفهومها ، وهو: الاتساق والترتيب والائتلاف والتناسب بين الأجزاء؛ فإن نظم حبات اللؤلؤ في الخيط يستوجب التناسب في إحكام الصنعة ليبدو العقد سليما في مظهره ، وكذلك نظم الكلام يتطلب دقة الإحكام ، ووضع كل لفظة بجانب أختها صنيع ناظم اللؤلؤ، وحائك الخيوط" . 4

1- ابن منظور"لسان العرب" المجلد الرابع عشر ، دار صادر بيروت ، ط3 ، 2004م ، ص 294.

2- الزمخشري" أساس البلاغة" قدم له وشكله ، وشرح غريبه وعلق على حواشيه: د/ محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ط1 ، 2003م ، ص860 .

3- " المعجم الوسيط " إخراج مصطفى أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، دار الدعوة ، 1989م، مادة (نظم) .

4- د/ محمد جمعة عبد الصمد " من قضايا النقد الأدبي" مطبعة الأمانة ، ط1 ، 1987، ص139.

أما عن معنى النظم في الاصطلاح ، فله معان متعددة بعضها يتفق مع المعنى اللغوي ، وبعضها يرمي إلى معنى آخر ، فعند الجاحظ ترد كلمة النظم مرادفة للتأليف، إذ يقول في معرض حديثه عن القرآن : " إن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه " 1. ، وعند ابن قتيبة بمعنى " سبك الألفاظ ، وضمها بعضها إلى بعض في تأليف دقيق بينها وبين المعاني ، فيجريان معا في سلاسة وعذوبة كالجدول " 2.

أما صاحب الصناعتين فيرى النظم في حسن التأليف وجودة التركيب وحسن الرصف 3. ونتيجة ما ذهب إليه البلاغيون والنقاد في النظم أنه: تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو المتخيرة والموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل " 4. ومن هنا ندرك أن ثمة صلة وثيقة بين المعنى اللغوي للنظم والمعنى الاصطلاحي له. فالمعنى المشترك بين اللغة والاصطلاح هو ضم الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد ، كما تضم حبات اللؤلؤ بعضها إلى بعض في سلك ونحوه ، وهو أصل المعنى الذي ذهب إليه عبد القاهر في كتابه " دلائل الإعجاز " ، فليس النظم عنده إلا أن " تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) ، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها " 5 .

- 1- د/أحمد سيد محمد عمار "نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم" ص132.
- 2- د/ محمد زغلول سلام " أثر القرآن في تطور النقد العربي "مصر، دار المعارف " ط1، 1982م، ص108.
- 3- أبو هلال العسكري " الصناعتين " ص167.
- 4- د/ عبد العزيز معطي عرفة " من بلاغة النظم العربي " عالم الكتب ط2، 1984م، ص7.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، " دلائل الإعجاز " ص81.

5. الجذور التاريخية لنظرية النظم :

جاء القرن الخامس الهجري ولا تزال قضية الإعجاز القرآني تملأ على المسلمين حياتهم وتدفع العلماء إلى الخوض في البيان والبلاغة لإدراك الوجه البلاغي لإعجاز القرآن الكريم .

وكان من أقوى الشخصيات في هذا القرن عبد القاهر الجرجاني الذي دافع عن قضية الإعجاز دفاعاً مجيداً، ومن أجلها استطاع أن يقيم نظرية النظم ويثبت أركانها. والتي بها ظل اليوم يستقطب الحديث عن نظرية النظم باعتبارها من أدق المقاييس النقدية التي خلفها لنا تراثنا — إن لم تكن أدقها على الإطلاق — فإن النظم قبل أن يرقى إلى مستوى النظرية يسبق عبد القاهر وعصره بزمان طويل.

وقد حاول بعض الباحثين ردّ فكرة النظم إلى ما كتبه أرسطو في كتابه " فن الشعر " عن أقسام الكلمة والفروق بينها ، والمقاطع والحروف والأصوات وغيرها من المسائل التي رآها ضرورة في البلاغة، وما كتبه في المقالة الثالثة من كتاب "الخطابة" عن مراعاة الروابط بين الجمل والأسلوب المفصل والأسلوب المقطع ، وحذف أدوات الوصل والتكرار.

وحاول آخرون ربطها بالهنود، فيذكرون أن الهنود عنوا بنظرية النظم عناية كبيرة بلغت حداً من الدقة والاستقصاء لا يقل عما وصل إليه النقاد في البيئات الأخرى . 1

أما في تراثنا ، فللنحاة فضل كبير في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عند الجملة ، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير أو حذف وذكر أو فصل ووصل .

ويعد سيبويه من أقدم الذين وقفوا عند هذه الجوانب ودرسها بعمق ، وأخذ عنه النحاة والبلاغيون والنقاد أصوله و بنوا عليها نظرياتهم، غير أن سيبويه والنحاة لم يسموا ذلك نظماً، وإنما هي قواعد تسير عليها العرب في كلامها أو إنشائها .

1— أحمد سيد عمار "نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم" دار الفكر، بيروت، لبنان ط1، 1998، ص124.

أما أول تسمية فتظهر مع عبد الله بن المقفع (140هـ) في كتابه "الأدب الصغير والأدب الكبير" حيث نجده يقارن بين صناعة القول وصناعة الذهب والفضة ، وقد اقترنت كلمة النظم فيه بالقلائد والسموط والأكاليل ، وكلها عبارات يتأكد بها الشبه بين نظم الكلام ونظم الجواهر ويتلخص مفهوم النظم عنده في وضع الألفاظ مواضعها ، كما يضع الصائغ كل فص في موضعه ، واعتبار تناسب الجوار والملاءمة بين الوحدات ليقترن الشبه بشبيهه. 1 ، حيث يقول: " فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل وأن يقولوا قولاً بديعاً ، وليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل ، ووضع كل فص موضعه ، وجمع إلى كل لون شبيهه مما يزيده بذلك حسناً ، فسمي بذلك صائغاً رقيقاً ، وكصناعة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية ، وكانحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة ، وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً ، فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً إليها ، مذكوراً بما أمرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه ، فلا يعجب به إعجاب المخترع المبتدع ، وإنما اجتباه كما وصفنا". 2

ثم أشار إليها بشر بن المعتمر (210هـ) المعتزلي الكبير في صحيفته البلاغية التي أوردتها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين .

وجاءت هذه التسمية كذلك بعد بشر بن المعتمر عند شيخ المعتزلة "النظام" (231هـ) الذي قال: "فأما نظم القرآن وحسن تأليفه فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف... 3"

1- حمادي صمود " التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس " ص490.

2- عبد الله بن المقفع " الأدب الصغير والكبير " دار صادر ، بيروت ، ص12_13.

3- عمر الملاحيوش " تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية " مطبعة الأمة _بغداد_ 1972م ، ص328.

ويرى أن أسباب المنع في ذلك هو أن الله سبحانه وتعالى قد صرفهم عنه ، وهو رأي يفنده عبد القاهر الجرجاني ، ويفند معه فكرة الصرفة التي تبناها المعتزلة.

وأخذ البلاغيون كلام ابن المقفع، وأداروه في كتاباتهم من غير أن يشيروا إليه ، فقال الجاحظ: " فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير .

وتحدث الجاحظ (255هـ) عن النظم ، و سَمَّى أحد كتبه "نظم القرآن" وقد ألفه برغبة من قاضي القضاة أبي الوليد محمد بن أحمد أبي دؤاد. أما طريقة معالجة الجاحظ للنظم فليس هناك ما يدل عليها دلالة واضحة " . 1 ، وبالرغم من أن كل المصادر تؤكد ضياع كتاب نظم القرآن إلا أن الإمام الزمخشري ينقل للقراء بعض المفقودات النفيسة من معالم هذا الكتاب رواية بالمعنى والمراد.

ولأبي هلال العسكري (392هـ) في كتابه "الصناعتين" حديث مقتضب عن النظم حين عقد باباً في حسن النظم، وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك. ذكر فيه: "وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتُمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ، ولا يُعمى المعنى ، وتضم كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفظها ، وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها". 2.

وبالنظر في هذا النص لا نجد فيه سوى ما يتبادر إلى الذهن عن المعنى اللغوي لكلمة النظم، فلم تأخذ عنده مفهوم اصطلاحياً يمكن إرجاع أمر النظم أو البلاغة إليه.

وبعد أن ازدهرت دراسات إعجاز القرآن في بيئة المتكلمين من أشاعرة ومعتزلة بصفة خاصة، وإذ ذاك تعددت المؤلفات التي تشير عناوينها إلى النظم والتأليف وصلتها بالإعجاز . والكثير من هذه المؤلفات ضائع تذكرها كتب التراجم وتكاد لا تقول شيئاً عن محتواها . فمن الكتب

1— أحمد سيد عمار " نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم " ص. 126.

2— المرجع نفسه ، ص 127.

الضائعة الموسومة بنظم القرآن نذكر:

كتاب الجاحظ الذي ذكر سابقا، وكتب الحسن بن علي بن نصر الطوسي (308هـ)، وعبد الله بن أبي دواد السجستاني (316هـ) وأبي زيد البلخي (322هـ) وأحمد بن علي بن الإخشيد (326هـ) أما الكتب التي جمعت في عنوانها بين الإعجاز والنظم فيذكرون منها بالخصوص : إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه لمحمد بن زيد الواسطي المعتزلي (306هـ)، وقد تكون مكانة هذا الكتاب بين هذا الصنف من التأليف هي التي دفعت عبد القاهر الجرجاني إلى الإعتناء به وتخصيصه بشرحين، وقد ضاع الأصل والشرحان.1

ومن الذين تحدثوا عن النظم من خلال البحث في قضية الإعجاز أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (386هـ)، وأبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (388هـ) وأبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني (403هـ) والقاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (415هـ).

أما الرماني فذكر في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" أن البلاغة عشرة أقسام: "الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان". 2 وشرح هذه الأقسام مبتدئا كل باب منها بتعريف سريع، يتبع ذلك بالكثير من الأمثلة والشواهد، معلقا بإسهاب في بعضها، ومكتيفا بإشارة مقتضبة في بعضها الآخر.

ولم يتوسع الرماني في قضية النظم في باب "التلاؤم" غير أن التلاؤم الذي قصد إليه كان محدودا بانسجام الحروف في الكلمة وحسن موقعها في الأذن، وفي ذلك يقول: "والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما، وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره

1— حمادي صمود "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس" ص. 491-490

2— الرماني "النكت في إعجاز القرآن" ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ص. 75.

الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد "1.

وعليه فإن كلام الرماني عن النظم أقرب إلى اللمحة الدالة و الإشارة العابرة منه إلى النظرية. أما الخطابي فكتابه " بيان إعجاز القرآن " يعد من أهم كتب الإعجاز لأنه يمثل رأي أهل الحديث في الإعجاز ، ويصور مرحلة جديدة من مراحل الدراسة البيانية لأسلوب القرآن ، ويعبر عن وجهة نظر طريفة ، وهي مسألة النظم القرآني بمعنى التأليف وما تخضع له الألفاظ والمعاني من أمور لتمامه "2.

والخطابي من أوائل الذين ألمحوا إلى فكرة النظم الذين عنوا بقضية الإعجاز البياني في القرآن وحاول تحليل بعض الآيات على أساس فهمه لهذه الفكرة، فذهب إلى أن الكلام يقوم بعناصر ثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم . ثم يقول: " وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشد تلاءماً وتشاكلاً من نظمه "3. ، ويرى أن سر الإعجاز إنما يأتي من تلك الناحية : "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني "4.

ومدار البلاغة عنده "أن توضع كل لفظة في موضعها الأخص بها من الكلام ، بحيث إذا تبدل مكانها ترتب على أحد أمرين: إما تغير المعنى الذي يفضي إلى فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة "5.

1- الرماني " النكت في إعجاز القرآن "ص96.

2- أحمد سيد محمد عمار "نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم" ص.133

3- الخطابي " بيان إعجاز القرآن " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر، ص.27

4- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

5- أحمد سيد محمد عمار، "نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم" ص134.

ومن خصائص النظم عند الخطابي : تهذيب الألفاظ وإخضاعها للسياق ومقتضى الحال . من ظروف الكلام والتكلم، والمعاني التي أريد التعبير عنها، فمثلاً: لا يعد غريب اللفظ بليغاً في ذاته، ولا تصح تسمية لفظ بأنه بليغ حيث يقول: " وأما ما ذكرناه من قلة الغريب في ألفاظ القرآن بالإضافة إلى الواضح منها ، فليست الغرابة مما شرطناه في حدود البلاغة ، وإنما يكثر الوحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب، الذين يذهبون مذاهب العنجهية ، ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له ، وليس ذلك معدوداً في النوع الأفضل من أنواعه وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن ، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة".¹

كما امتدت فكرة النظم عند الخطابي إلى اختيار الكلمة في موضع معين لتشمل وضع تركيب كامل ، والعلاقة الجامعة بينه وبين ما سبقه ولحقه في السياق ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ^(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ^(١٨) 2، فقد سبقت هذه الآيات مباشرة بقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ

عَلَىٰ نَفْسِهِٗٓ بَصِيرَةٌ﴾ ^(١٩) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ^(٢٠) 3 وأعقبها بقوله جل شأنه: ﴿كَلَّا بَلْ

تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ^(٢١) 4.

فيذكر أن الآيات التي اشتملت على نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن تحريك لسانه بالقرآن

1- الخطابي "بيان إعجاز القرآن" ص. 37.

2- الآيات 16، 17، 18، 19، من سورة القيامة.

3- الآيتان 14 و 15 من سورة القيامة .

4- الآية 20 من سورة القيامة.

إنما هي استجابة لأمر عارض دعت الحاجة إلى ذكره لم يجز تركه، ولا تأخير عن وقته، كقولك للرجل وأنت تحدّثه بجديث، فيشتغل عنك ويقبل على شيء آخر : أقبل عليّ واسمع ما أقول، وافهم عني، ونحو هذا من الكلام ، ثم تصل حديثك، ولا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول، قاطعاً له، وإنما تكون به مستوصلاً للكلام، مستعيداً له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا نزل الوحي وسمع القرآن حرك لسانه يستذكر به ، فقليل له : تفهم ما يوحى إليك ولا تتقبله بلسانك ، فإننا نجمعه لك ونحفظه عليك. 1

وفي الختام نشير إلى أن الخطابي لم يصل بالنظم إلى عمق الإدراك الذي وصل إليه عبد القاهر رغم الصلة بين مفهوم النظم عند الخطابي وبين مفهومه عند عبد القاهر ، وفي ذلك يرى بعض الباحثين، ومنهم محمد زغلول سلام، أن فهم الخطابي لمفهوم النظم قريب من فهم عبد القاهر له ، فالنظم عند الخطابي " صورة للفظ المتفاعل مع المعنى للتعبير عن التجربة الفنية ، وليس للألفاظ وحدها ولا للمعاني أهمية النظم، وهو تقدير له قيمته، لأنه يحيط عن اللفظ بعض أهميته التي ركز حولها السابقون دراساتهم، ثم لا يفصل بين المعنى واللفظ ويعطي لأحدهما الفضل على الآخر أحياناً ، وهو ما وقع فيه السابقون". 2

أما الباقلاني (403هـ) فقد جمع في كتابه "إعجاز القرآن" آراء من سبقوه في إعجاز القرآن مسخراً ذلك كله لتأكيد إيمانه الراسخ بأن القرآن معجز بديع نظمه ، وعجيب تأليفه، كون القرآن خارجاً عن المؤلف من كلام البشر والمعروف من تنظيم خطابهم، فليس هو بالشعر ولا بالنثر، وليس هو بالسجع إلى آخر ما هو معروف للبشر من أجناس الكلام، كما أنه خارج عن المؤلف من كلام الجن أيضاً ، وأن القرآن الكريم قد اشتمل على كل الأساليب البلاغية التي تبني عليها أجناس الكلام البشري من إيجاز وإطناب وحقيقة ومجاز، واستعارة وتصريح ، كل ذلك

1- الخطابي " بيان إعجاز القرآن" ص51.

2- د/ محمد زغلول سلام " أثر القرآن في تطور النقد" مصر، دار المعارف، ط1، 1982م، ص259.

مما يتجاوز حدود كلامهم في الفصاحة والبلاغة ، حيث يقول : " إننا إذا وصفنا عبارة قرآنية ، في ثانيا أي كلام نظما كان أم نثرا، فإنها تكون هي واسطة العقد في هذا الكلام، كالدرّة التي ترى في سلك من خرز".¹

ويقول أيضا : " إن عجز القوم عن معارضته دليل خروجه على نمط كلامهم ".² ويرى الباقلاني: "أن إعجاز القرآن يرجع إلى نظمه وبيانه، وأن ذلك منصب على القرآن جميعه، بوصفه وحدة متكاملة، وجملة لا تفصيلا، فهو نص كامل، له سماته ومميزاته التي تميزه عن سائر أقوال العرب، وفنون كلامهم".³، لذلك يرفض الباقلاني فكرة الإعجاز البلاغي ، الذي يتعرض للتحليل الجزئي للعبارة ، والبحث فيها عن ضروب البيان والبديع، ومجاز القول، ثم لا يأخذ بالقول بفصاحة الألفاظ وحدها"فليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو نظمها، وإحكام رصفها، وليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة، ومرتبة في الوجود وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات، ووجود بعضها قبل بعض ، ووجود بعضها بعد بعض".⁴

ومما سبق يظهر أن الباقلاني يرتضي فكرة النظم والقول إن ترتيب الألفاظ في العبارة خاضع لترتيب معانيها في النفس.

وتؤكد مؤلفات الباقلاني أنه كان يفهم النظم بمعنى تأليف العبارة وبناء النص بناء تراعى فيه العلاقات، وملاءمتها لمواضعها التي وضعت فيها، من ذلك قوله: " إن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها".⁵

1- الباقلاني " إعجاز القرآن" تعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجليل ، بيروت، 2005م، ص42.

2- الباقلاني " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة " تأليف الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2005، تحقيق: أحمد فريد الزبيدي ص86.

3- د/أحمد جمال العمري"المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني"ص210.

4- الباقلاني"التمهيد" ص91.

5- الباقلاني " إعجاز القرآن" ص36.

وقوله: " ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم . وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومرتبة وفي الوجود وليس لها نظم سواها " 1. والواضح أن كلام الباقلاني عن النظم ، وإن تردد كثيرا في ثنايا كتبه " إلا أنه لم يأخذ طابع المصطلح العلمي الواضح الذي وضعه لها عبد القاهر، فيما بعد فقد حلق بنا في عبارات إنشائية غائمة، وإن كانت لا تفتقر إلى الحرارة ، حالت دون تحديد معالم هذه الكلمة عنده " 2.

أما القاضي عبد الجبار فقد خلص المصطلح من الملابس المعنوية التي ألحقت به في استعمالات سابقه ، وكرسه للدلالة على طرق التركيب اللغوي وكيفية ضم أفراد الكلمات ، وقد اعتبره من أهم مقومات الفصاحة لتأثيره في صفة الكلام واللفظ معا : " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولا بد من الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تلون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع " 3. وكما كان النظم سبب فصاحة الكلام فهو الوجه الذي يقع به التفاضل في الفصاحة ولا بد للأديب الذي يروم سبق غيره: أن يعلم أفراد الكلمات وكيفية ضمها وتركيبها ومواقفها ، فبحسب هذه العلوم والتفاضل فيها بتفاضل ما يصح منهم من رتب الكلام الفصيح " 3. فالقاضي عبد الجبار مع قوله بالنظم، لا يهمل خصائص اللفظ المفرد التي يعتبرها شرطا من شروط الفصاحة : " لا يكون

1- الباقلاني " التمهيد " تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ص 91.

2- أحمد سيد محمد عمار " نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم " ص 149.

3- القاضي عبد الجبار " المغني في أبواب التوحيد والعدل " ج 16، ص 199.

4- المصدر نفسه، ج 16 ص 208.

الكلام فصيحاً إلا بحسن معناه وموقعه واستقامته كما لا يكون فصيحاً إلا بجزالة لفظه".¹ ، والقاضي عبد الجبار يرى " أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام من حيث هي ، والكلمة لا تعد فصيحة في ذاتها ، بل لابد من ملاحظة صفات مختلفة لها ، لابد من ملاحظة أبعادها ونظائرها، ومن ملاحظة حركتها في الإعراب وموقعها في التقديم والتأخير ، ومن هنا يقترب القاضي عبد الجبار من عبد القاهر الجرجاني في تفسيره للنظم ؛ فقد فسر عبد القاهر النظم بتوخي معاني النحو فحسب ، لكن إذا حللنا هذه المعاني وجدناها تنحل إلى الكلام نفسه الذي حاول عبد الجبار به تصوير الوجوه التي يقع بها التفاضل في فصاحة الكلام، فهو يشير صراحة إلى حركات النحو وما ترسم من فروق في العبارات، ولا شك أن مثله في ذلك مثل عبد القاهر من حيث إنه يريد بحركات الإعراب معناها العميق وهو النظام النحوي للكلام، وليس مجرد الحركات الظاهرة".²

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عباس : ومهما يكن من اجتهادات القاضي عبد الجبار في إثارة فكرة النظم بمنطق عميق مغاير لطريقة الرماني والخطابي إلا أنها تبقى جهوداً لا تتجاوز مهمة الإشارة إلى الموضوع دون أن تجد لنفسها القدرة الكاملة على الإحاطة والتنظير العام الذي يخضع إلى مقياس الشمولية ، كما هو الحال عند عبد القاهر في نظريته الشبيهة بمبدأ التخصص في هذا المجال . تلك هي أهم معاني النظم الرائجة في أوساط المهتمين بإعجاز القرآن قبل عبد القاهر الجرجاني وتجمع بين القائلين بها عدة خصائص ، منها أنهم تعرضوا للمصطلح في صورة جملة ، ولم يعطوه مضموناً مضبوطاً ملموساً ، ولم يحلّوه تحليلاً لغوياً يكشف عن طاقات اللغة ، وما توفره للمستعمل من إمكانيات التركيب والتأليف ، ومحاولات الوصف والتعريف التي قد يصادفها

1- القاضي عبد الجبار " المغني في أبواب التوحيد والعدل " تحقيق أمين الخولي، مطبعة دار الكتب ، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الإدارة العامة للثقافة ، ط 1 ، 1960م ، ج 16 ، ص 203 .
2- د/ شوقي ضيف " البلاغة تطور وتاريخ " ص 117_118 .

الباحث في مؤلفاتهم لا تخرج عن أحد أمرين: فهي إما تفسير بالترادف يقترن بموجبه لفظ "النظم" بألفاظ قريبة من معناه كالضم والتركيب والترتيب، وهذه الطريقة تساعد على فهم مجال المعنى ولكنها لا تشير إلى محتوى معلوم، وإما تفسير من زاوية ضيقة يضعف ثراء المصطلح ويحدّد مجاله. 1

6. النظم عند عبد القاهر الجرجاني :

عرض عبد القاهر نظريته بطريقة تغاير ما كتبه العلماء السابقون مستفيدا من اطلاعه على أهم ما كتب في قضية الإعجاز إضافة إلى ثقافته النحوية وإمامته لهذا العلم ، التي أمدته بفكرة النظم حيث أصبح النظم على يديه نظرية علمية خرجت من دائرة البحث في الإعجاز القرآني إلى دائرة أكبر وأوسع يمكن أن يرجع إليها ، ويقاس بها الحسن في كل الأساليب باعتبارها أهم المقاييس الجمالية في نقدنا الأدبي.

وفكرة النظم هي خلاصة آراء عبد القاهر اللغوية والبلاغية، فاللغة عنده مجموعة من العلاقات المتفاعلة والفاعلة والتي تحمل نسيجا متشعبا من المشاعر والأحاسيس ، ويظهر ذلك ويوضحه النظم الذي هو صياغة الجمل ودلالاتها على الصورة . وهذه الصياغة هي محور الفضيلة والمزية في الكلام ، واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه ، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها ، وذلك أننا لا نعلم شيئا يتبعه الناظم بنظمه ، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : " زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق ، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج

1— حمادي صمود " التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس " ص434.

فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج... ويتصرف في التعريف والتكثير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار فيضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له. هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه _ إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ _ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو ، قد أصيب به موضعه ، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له".¹ ويقول أيضا: " فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد ، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه".²

والواضح مما سبق أن عبد القاهر الجرجاني ينكر القسمة بين اللفظ والمعنى ويرد المزية في الكلام إلى السياق التي تتعاون فيه جميع دلالات الكلمات لتأدية المعنى عن طريق النظم. الذي هو صنعة يستعان عليها بالفكرة.

والنظم عنده ليس اتصال الألفاظ وترابطها وتتاليها من حيث هي حروف أو أصوات وإنما هو تتالي معانيها واتساقها فيما بينها، مشيراً إلى الفرق بين " حروف منظومة وكلم منظومة ".³ وأنه لا يريد بالنظم نظم الحروف لأن هذا يعني تواليها بالنطق فقط، " وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه فلو واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد".⁴

1- عبد القاهر الجرجاني، " دلائل الإعجاز " ص63.

2- المصدر نفسه، ص.65

3- المصدر نفسه ، ص40.

4- المصدر نفسه ، ص40.

ويتضح من هذا أن توالي الحروف أو ترتيبها رسماً أو نطقاً يتم بطريقة اعتباطية لا دخل لعقل الإنسان بها، وليس هناك من تفسير لتوالي هذه الحروف في الكلمة سوى ما يفرضه جهاز النطق عند الإنسان أي ما يتلاءم وطبيعته الخلقية لأن جهاز النطق عند الإنسان له خصائص تحده ، وتمنعه من نطق بعض الحروف دفعة واحدة ، وهذا ما يتفق فيه مع العالم فردينان دي سوسير (1913م) في القول " باعتبارية العلاقة بين الدال والمدلول".1 " فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد".2

ومن ثم فالنظم الذي عناه عبد القاهر الجرجاني هو نظم الكلم الذي يأتي من اقتضاء المعنى، وفي ذلك يقرر: أن نظم الألفاظ يجب أن يقتزن بترتيب المعاني ،لأن المعاني هي الأساس الذي يجب أن يراعى عند نظم الكلام ، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني ، لأنك " إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني ،وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق. واعلم أنك إذا رجعت نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها على بعض ، ولا تجعل هذه بسبب تلك".3 إلا أن الإمام الجرجاني قد أورد نصوصاً كثيرة في دلائله أحاط بها الجدل من كل جانب لأن بعض الباحثين لم يفهموا كنهها كقوله: "معلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض ، والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق

1— فردينان سوسير " دروس في الألسنية العامة" تعريب :صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجينة ،الدار العربية للكتاب ، تونس 1985م،ص111.

2— عبد القاهر الجرجاني، " دلائل الإعجاز" ص.40.

3— المصدر نفسه، ص38.

1. معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما "1. ويقول في مكان آخر: "أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه سبب تلك"2.
- ويقول كذلك: "واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها...."3
- ويقول أيضا: "النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم وأن توخيها في متون الألفاظ محال"4. فهناك "من يرى أن هذه الطريقة لا تناسب ما عزم عليه المؤلف من تطوير للمبحث البلاغي، وتجاوز لقصور سلفه في بيان مكان الفضل والمزية في الكلام، وأن المؤلف لم يقم بأي جهد تألوفي يُبين سبل ربط النظم بمعاني النحو، ويدقق المعنى الذي يجري عليه كلمة النحو، وأن الرجل لم يستطع وقت تحليل النماذج الأدبية الإفلات من "التأثرية" و"الانطباعية" في أحكامه الأدبية، وهذا لا يساعد على معرفة الأبعاد التي يستعمل فيها المصطلح ولا دوره في توليد جمال النصوص وكشف أسرار بلاغتها"5.
- وكرر على هؤلاء نذكر قول تامر سلوم: "إن النظم عند عبد القاهر الجرجاني أكبر من أن تحيط به دراسة، وأوسع من أن تحده نظرة سطحية قاصرة عن الخوض في كنهه وسير أغواره كما يقول تامر سلوم: "إن النظم ليس له إطار يحدده أو سور يحيط به بدقة، ومن الصعب تلخيص مدلوله في ناحية أو كيفية معينة"6.

1- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص2 _ 3.

2- المصدر نفسه، ص44.

3- المصدر نفسه، ص64.

4- المصدر نفسه، ص276.

5- حمادي صمود "التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ص510_511.

6- د/ تامر سلوم "نظرية اللغة والجمال في النقد العربي" دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، ط1، 1983، ص126.

إن الغرض من النحو عند عبد القاهر الجرجاني ليس غرضاً شكلياً إعرابياً إذ لا يرى قيمة للحركات التي تطرأ على أواخر الكلمات، لأن العلم بما يناسب الوظائف من حركات علمٌ مشترك بين جميع العارفين باللغة.. كما أنه لا يتصور أن يقع التفاضل من أجلها وأن تكون لنفس الحركة مزية في كلام ثم لا تكون لها تلك المزية في كلام آخر. وفي ذلك يقول: "ولا يجوز إذا عدت الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعد فيها الإعراب وذلك أن العلم بالأعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية..."¹ "ومن العجب أنا إذا نظرنا في الإعراب وجدنا التفاضل فيه محالاً لأنه لا يُتصور أن يكون للرفع والنصب في كلام مزية عليها في كلام آخر، وإنما الذي يتصور أن يكون ههنا كلامان قد وقع في إعرابهما خلل، ثم كان أحدهما أكثر صواباً من الآخر، وكلامان قد استمر أحدهما على الصواب ولم يستمر الآخر. ولا يكون هذا تفضلاً في الإعراب ولكن تركاً له في شيء واستعمالاً له في شيء آخر".²

والمستفاد من هذا النص أنه يستعمل النحو في معنى واسع: يخلصه من سيطرة النزعة الشكلية التي غلبت على مسأله بعد انتهاء فترة التأصيل التي يمثل ابن جني قمته ونهايتها. وأنه لا يهتم منه إلا الجانب الذي يمكن توظيفه في إطار بلاغي نقدي واعتماده أساساً لبيان مآتي الجودة في الكلام وسبب تفاوته في الحسن. "وبناء على هذا التصور يصبح النحو صنو الحسن اللغوي المرفه وإدراك الفروق بين طرائق التركيب ووجوه ترتيب المباني على المعاني وصنعة تدرك بثاقب الفهم والفكر اللطيفة لا جملة من المصطلحات والأبواب تحفظ من غير رؤية".³

1- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز" ص203.

2- المصدر نفسه، ص219

2- حمادي صمود "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس"، ص512.

7. أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني :

أورد عبد القاهر الجرجاني في دراسته لموضوع النظم أربعة مصطلحات علمية " هي من ذوات المصطلحات المعاصرة في النظام اللغوي". 1 وهي :

أ- **النظم** : هو عند عبد القاهر الجرجاني تصور للعلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به ، وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله وهلم جرا.

وفي ذلك يقول : "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق و الوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها". 2

والمزية عنده ناتجة بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام حسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض فيقول : " واعلم أنه، وإن كانت الصورة في الذي أعدنا وأبدأنا فيه من أن لا معنى للنظم غير توخى معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الوضوح والظهور والانكشاف إلى أقصر غاية ، وإلى أن تكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج إليه فإن النفس تنازع إلى تتبع كل ضرب من الشبهة...". 3

ومما سبق يتضح أن النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جملة .

ب- **الترتيب** : انتهى عبد القاهر إلى أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف، ورتبت ترتيبا معلوما بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حساب ترتيب معانيها في النفس، وهذه المعاني يكون ترتيبها في النفس على ما يقتضي العقل

1- د/ محمد عباس " الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني " ص66.

2- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص69.

3- المصدر نفسه، ص282.

ليثبت أن النظم هو ترتيب معاني الألفاظ في النفس وليس ترتيب الألفاظ وتواليها في النطق وفي ذلك يقول : " وأن الكلم ترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس "1. ويقول كذلك : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... "2.

والترتيب هو " وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تظهر بها فوائد التقديم والتأخير الذين كانا موضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر "3. وهو عنصر أساسي من عناصر نظرية النظم ومقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام . وقد مثل الإمام الجرجاني لذلك بقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه الطويل

والواضح في هذا البيت أن هناك أربع مخالقات نحوية هي : تقديم المستثنى على المستثنى منه ، والفصل بين مثل وحي ، وهما بدل ومبدل منه، وبين أبو أمه وأبوه، وهما مبتدأ وخبر ، وبين حي ويقاربه ، وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي "4.

وقد قال عبد القاهر معلقا على هذا البيت : " فانظر ألتصور أن يكون ذلك للفظ من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشيا غريبا ، أو سوقيا ضعيفا؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، فكذلك وكدر ، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام وإبعاد المرام ، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسة، لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة

1— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص45.

2— المصدر نفسه، ص40، 41.

3— د/تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها " عالم الكتب القاهرة، ط4، 2004، ص188.

4— أحمد سيد محمد عمار " التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس " ص116.

1. ما خالف بين أوضاعها

والواضح من هذا التعليق أن عبد القاهر الجرجاني لم يردّ غموض المعنى في البيت إلى التعقيد اللفظي ولا إلى شيء آخر مما اشترطه البلاغيون لفصاحة الكلام وبلاغته . بل رده إلى كون الشاعر لم يرتب الألفاظ في النطق على حسب ترتب معانيها في نفسه ومن هنا منع المتلقي أن يفهم الغرض من البيت . ويضرب أيضا الجرجاني لذلك مثالا قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل الطويل

ويرى أننا متى قرأنا شطر البيت على هذا النسق في الترتيب وأبقينا على نظامه الذي عليه بني، وجدناه من " كمال البيان" أما إذا خررنا هذا النظام وعددنا كلماته عدا " كيف جاء واتفق" كأن نقول : منزل قفا ذكرى من نبك حبيب " نكون خرجنا به إلى مجال الهذيان " والسبب في تحول هذا الشعر من النقيض إلى النقيض ليس جرس الحروف وخصائص اللفظ الصوتية فإننا لم نضف كلمة جديدة ولا غيرنا ترتيب الحروف داخل الكلمات ، وإنما هو إبطال نضده وإفساد هندسته وقالبه الذي فيه أفرغ المعنى وأجرى.2

وبهذا المعنى يصبح النظم صنعة وثيقة الصلة بقوى الإنسان المدركة وفي مقدمتها العقل ، ويصبح انتظام الوحدات اللغوية انعكاسا للمضمون في بنائه المنطقي ، وبهذا الصنيع أشار الجرجاني " إلى أصل من أهم أصول الوحدة المنطقية ، فقسم للعقل مكانا في العمل الفني، وجعله هاديا لوحدة النسق في ترتيبه على صورة تتلاءم وقوى الإنسان العاقلة والمتذوقة".3

1- عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة "، ص.113

2- حمادي صمود " التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس"، ص.506.

3- السيد أحمد الخليل " المدخل إلى دراسة البلاغة العربية" دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1968، ص.58.

ت- الموقع: هذا العنصر شديد الصلة بعنصر الترتيب لأنه لا يمكن أن يتحقق النظم الذي هو مدار البلاغة بترتيب المعاني في النفس فقط ، بل لابد من العلم بمواقعها في النفس ، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني : " وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق "1 حتى إذا ما عبر عنها صادف كل لفظ موقعه ورتبته تبعاً لموقع معناه ، ورتبته في النفس بحيث: "لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين "2

فالألفاظ إذن لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، وإنما من حيث ملائمة معنى الكلمة لمعنى التي تليها ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر. وكمثال على ذلك يقول: انظر إلى كلمة شيء في قول عمر بن أبي ربيعة :

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضُ كَالْدُمَى الطويل
وفي قول أبي حية النميري:

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا الطويل
فإنك تعرف حسنهما ومكانهما من القبول ، ثم انظر إليها في قول المتنبي:

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَعِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَّارِ 3 الطويل
فإنك تراها تثقل وتضؤل بمقدار حسنهما ونبليها 4..

وفي هذا على ما يبدو إشارة إلى ضرورة الارتباط بين المعنى والمبنى ، فالكلمة لا تحدد وظيفتها، ولا تأخذ قيمتها النحوية في الجملة إلا بموقعها الأخص منها"5.

1- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص44

2- محمد عبد الله دراز "النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم" دار القلم ، الكويت ط4، 1977 ص92.

3- "شرح ديوان المتنبي" شرح: عبد الرحمن البرقوقي ، مكتبة مصطفى الباز ، الرياض ، مكة المكرمة، ط1 ، 1242 ، ج2 .

4- عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص90.

5- ميشال زكريا "الأسنانية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 1983، ص18.

ويقول كذلك : " فإننا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها فيما لا يخص من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير.. "1.

والنتيجة أن موضع الكلمة أو موقعها من النظم مقياس أيضا لتحديد المزية والفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني.

ث- التعليق: بنى عبد القاهر الجرجاني نظريته على " التعليق " الذي يعتبره أساس النظم والذي قصده " إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ويحدد معاني الأبواب في السياق ، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا من التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية " 2 ولذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يلح في تحديده للنظم على فكرة التعليق ، ولا أدلّ على الأهمية إلى يعلقها بها من اقتصاره في بعض التعريفات عليها ومن ذلك قوله: " معلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض "3. وقوله : " لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض ونجعل هذا سبب من تلك "4.

وبعد أن ربط عبد القاهر الجرجاني النظم بالتعليق انتقل إلى تحديد أقسام التعلق معقبا عليها بقوله: " فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض. وهي—كما تراها—معاني النحو وأحكامه "5، وقوله كذلك : " هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا،

1— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص.307

2— د/تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها " ص188_189

3— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص4.

4— المصدر نفسه ، ص.97

5— المصدر نفسه ، ص08.

أو خطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له. فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية أو فضل إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل

في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه".1

ومن خلال هذا النص يتضح أن عبد القاهر ينص على معاني النحو وأحكامه التي هي ضوابط العلاقات السياقية "التعليق" وهي مرجع الصحة والفساد والمزية والفضل. فالكلام رهين هذه الشبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته، وكلما كانت هذه العلاقات مطابقة للمعاني النحوية كان الكلام فصيحاً، وكلما فسدت فسد وخرج عن أن يكون فصيحاً"2

"والعلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي(الباب الخاص كالفاعلية مثلاً)..."3

وفي هذا الإطار حل الإمام الجرجاني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ

وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۚ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُوَ

الْعَدُوُّ فَأَحْذَرَهُمْ ۚ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ ﴿٤﴾، حيث يقول: "كيف وسبب الفصاحة

فيها أمور لا يشك عاقل في أنها معنوية (أولها): أن كانت (على) فيها متعلقة بمحذوف في موضع المفعول الثاني.(والثاني) أن كانت الجملة التي هي (هم العدو) بعدها عارية من حرف

1- المصدر السابق ، ص65.

2- د/عز الدين إسماعيل "الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة" دار الفكر العربي ، مصر ، ط2، 1968م، ص237.

3- د/ حسان تمام " اللغة العربية معناها ومبناها" ص19.

4- الآية 04 من سورة المنافقون.

عطف. (والثالث): التعريف في العدو وأن لم يقل : هم عدو". 1 ويواصل الإمام الجرجاني مفترضا لو أن الآية الكريمة جاءت على خلاف الأصل قائلا: "ولو أنك علقت (على) بظاهر، وأدخلت على الجملة التي هي (هم العدو) حرف عطف، وأسقطت الألف واللام من العدو فقلت : يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو، لرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها ، ولو أنك أخطرت ببالك أن يكون (عليهم) متعلقا بنفس الصيحة ويكون حاله معها كحالها إذا قلت : صحت عليه: لأخرجته عن أن يكون كلاما فضلا أن يكون فصيحاً وهذا هو الفيصل لمن عقل". 2

فالتعليق الذي قصده الإمام الجرجاني هو تعلق فيما بين معاني الألفاظ لا فيما بينها أنفسها . والمزية ترجع إلى المعاني والأغراض ، لأن اتساق الألفاظ وترتيبها إنما يكون بحسب معانيها في النفس وأوضاعها في العقل.

ج- **الصياغة** : يقول الإمام الجرجاني : "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي موقعها ومقاديرها، وكيفية مزجها لها وترتيبه إياها إلى ما لم ينهد إليه صاحب فجاء نقشه من ذلك أعجب ، وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر ، والشاعر في توخيها معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم". 3

فالتصوير والصياغة هما سبيل الكلام، والمعنى الذي يقع فيه التصوير كالفضة أو الذهب مادة الفن والمزية في الكلام لا تكون في النظر إليه بمجرد معناه فقط، والصياغة عند الجرجاني دلالة على جلاء الصورة الأدبية وبراعتها وفي ذلك يقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة

1— عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص. 309

2— المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3— المصدر نفسه، ص 59، 60.

والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه . وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام"1.

ويتضح مما تقدم أن أساس المفاضلة بين المعاني عند عبد القاهر الجرجاني هو الصوغ والتصوير فالحكم ببلاغة الكلام وحسنه ، أو عدم بلاغته وحسنه لا يرجع إلى مجرد معناه ، بل إلى براعة صياغته وحسن معرضه ، فقد تكون المعاني جيدة ، ولكن صياغتها فاسدة ومعرضها سيء ، لأن العمل الأدبي أساسه الذوق والجمال والبراعة. وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري حين اشترط في الكلام لكي يكون بليغا أن يكون مقبول الصور حسن المعرض . حيث يقول: " وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى "2.

وللجرجاني فهم خاص للصورة" يخالف به مصطلح الصورة بالمعنى الفني الضيق الشائع في مؤلفات نقد الأدب ، والذي تدرج فيه وجوه المجاز كالاستعارة والكناية والتمثيل. وإنما يستعمله في معنى أعم قريب من استعمال المناطقة وقت يقابلون بينها وبين المادة . وهي عنده درجة من التجريد العقلي يستخلصها الناظر من الأشكال اللغوية الماثلة في النص بعد سيرها النظر والفكر "3 .
ولتوضيح هذا المعنى والتأكيد على تماسك عناصر الصورة وانسجامها يقول معلقا على بيت بشار بن برد :

1- المصدر السابق، ص 196 _ 197.

2- أبو هلال العسكري " الصناعتين " (الكتابة والشعر) ، ص19.

3- حمادي صمود " التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ص520 _ 521.

كَأَنَّ مَثَارَ النَّعْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ الطويل

" فبيت بشار إذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم، ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين يأخذ كسرا من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب، ويخرجها لك سوارا أو خلخالاً . وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار 1."

ونستنتج مما تقدم أن جمال العبارة في رأي الجرجاني ، متولد عن نظمها وترتيبها وفق ترتيب المعاني القائمة في الذهن ، وأن النظم بالمعنى الذي حدده . خاصية موجودة في الكلام البليغ دون غيره من مستويات الكلام الأخرى.

وخلاصة القول " إن عبد القاهر الجرجاني قد تأثر بمن سبقه من العلماء ، واستطاع بحسه الصادق ، وذوقه المرفه أن يوضح بالشواهد العديدة وتحليلها ، أن المزية لا ترجع إلى الألفاظ المجردة ، ولا إلى المعاني العامة ، أو المعاني اللغوية للألفاظ ، وإنما ترجع إلى النظم،الذي هو توحي معاني النحو ، فهو يقوم على ترتيب الكلام حسب مضامينه ، ودلالاته في النفس ، ترتيبا ينشأ عن معان إضافية،وهي معان ترجع إلى الإسناد فالتكلم ينظم أفكاره ، ويرتبها في ذهنه ، وينسقها أولا في نفسه، ثم يأتي دور الألفاظ ، على حسب ترتيب الأفكار في الذهن، وتنسيقها في العقل،فاللفظ يتبع المعنى في النظم، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس،ومقدما على غيره، وجب أن يكون اللفظ الدال عليه أولا وقبل غيره من الألفاظ . وبقدر ما يكون ترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعاني في النفس ، تكون البراعة ، ويكون الحسن ، فالتكلم البليغ والأديب الجيد ، وفق ترتيب المعاني والأفكار التي تكونت في ذهنه ووضحت في عقله 2."

1- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 317.

2- د/بسيوني عبد الفتاح فيود " دراسات بلاغية " مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1989 ص 51.

الخلاصة

بعد هذه المقاربة المتواضعة من دراسة الإمام عبد القاهر الجرجاني، هذا الرجل الأملعي المتفرد بغزارة علمه وسلامة ذوقه، والمتعلقة بالعلاقة بين الدرسين النحوي والبلاغي عنده لا يمكننا الجزم أن الموضوع نال حقه كاملاً، لأن الإمام عبد القاهر ذو علم واسع، وخيال ملهم، وأسلوب دقيق، ولأن علمه يركز على أسس قراءات عميقة للموروث العربي من سابقه. ولذلك يجمل بنا في نهاية هذا البحث المتواضع أن نسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث ونوجزها في النقاط الآتية :

أولاً: إن قضية الإعجاز القرآني كان لها أثرها البالغ في إثارة الجدل الواسع بين المتكلمين على اختلاف مشاربهم، فأفاد منها اللغويون والبلاغيون فكانت السبب الأساسي في قيام علمي اللغة والبلاغة .

ثانياً: إن دراسات علماء الإعجاز وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم التي شكلت سداً منيعاً في مواجهة تيار الصرفية، وتيار الغلو والصنعة. أثبتت أن سبب إعجاز النص القرآني كامن في نظمه وطريقة بنائه، الأمر الذي فتح النص القرآني للدرس قصد الكشف عن أسرار بلاغته ودلائل إعجازه.

ثالثاً: لم يكن ما توصل إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني بفكره سابقاً لعصره، وعلماء عصره فحسب، بل سابقاً حتى لبعض العلماء المحدثين ومثال ذلك عقده لفصل في كتابه دلائل الإعجاز سماه "معنى المعنى" وهو ما ألف فيه أحد كبار فلاسفة الغرب في القرن العشرين مؤلفاً سماه

The Meaning of the meaning. ولم يزد فيه كثيراً على ما أتى به عبد القاهر الجرجاني.

رابعاً: إن فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني حصيلة اجتهاد أوصله إلى رؤية فذة إهتدى إليها في عملية تفاعله مع النص القرآني فرآها أول الأمر طريقاً إلى إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، لتصبح بعد ذلك دراسة أسلوبه واسعة النطاق لاتساق التراكيب في العربية على اختلافها وتنوعها.

خامساً: خلصّ عبد القاهر الجرجاني النحو من الدراسة الشكلية ونقله إلى الدراسة الوظيفية فلم يعد النحو لديه جافاً مقصوراً على الإعراب، وإنما أصبح مقياساً يهتدى به إلى البراعة، ووسيلة من وسائل التصوير والصياغة، إذ الغرض من النحو عند الجرجاني ليس غرضاً شكلياً إعرابياً حيث لا قيمة للحركات التي تطرأ على أواخر الكلمات، لأن العلم بما يناسب الوظائف من حركات علم مشترك بين جميع العارفين باللغة، كما أنه لا يتصور أن يقع التفاضل من أجلها، وأن تكون لنفس الحركة مزية في الكلام، ثم لا تكون لها تلك المزية في كلام آخر، فهو لا يهتم من النحو إلا الجانب الذي يمكن توظيفه في إطار بلاغي نقدي يكفل الجودة والبراعة.

سادساً: تنحصر جملة المبتدأ والخبر، وجملة الفعل والفاعل عند عبد القاهر الجرجاني في ثلاث صور هي: الإثبات والنفي والاستفهام. وبذلك الجرجاني لا يفصل بين النحو والبلاغة، بل يجعل النحو في خدمة البلاغة، ويؤكد أن اللغة العربية لا ينفصل فيها المعنى عن المبنى، وأن المزية في تخير التركيب المناسب للمقام والحال. مخالفاً بذلك سنن سابقيه في نظرهم إلى النحو مبدعاً ما يسمى بالنحو البلاغي.

ولأن نظرية النظم هي مدار التفوق والإعجاز حسب عبد القاهر الجرجاني ومن هذا حذوه نلخصها فيما يلي:

أ- إن الألفاظ في النظم مرتبطة بالمعنى ولا يمكن فصلها عنه، فبعد القاهر الجرجاني ينكر القسمة بين اللفظ والمعنى، ويرد المزية في الكلام إلى السياق الذي تتعاون فيه جميع دلالات الكلمة لتأدية المعنى عن طريق النظم.

ب- إن النظم ليس هو توالي الألفاظ في النطق كيف جاء واتفق، بل هو تناسق دلالتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، حيث يمثل الجرجاني لذلك بقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

ويرى أننا متى قرأنا شطر البيت على هذا النسق في الترتيب، وأبقينا على نظامه الذي عليه بني وجدناه من "كمال البيان" أما إذا خررنا هذا النظام نكون خرجنا إلى مُحال الهذيان.

ج- إن ترتيب الألفاظ في النظم يتوخى فيه معاني النحو وأحكامه ووجوهه فيما بين الكلم فالبلاغة تكمن في المعنى الذي تحدّثه الألفاظ إذا ألّفت على ضرب خاص من التأليف، ورتبت ترتيباً معلوماً، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حساب ترتيب معانيها في النفس بما يضمن الجودة والبراعة.

د- إن الألفاظ قبل دخولها في التأليف لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها. فالكلمة عينها قد تروقنا في موضع، وتثقل علينا في موضع آخر، فالتركيب الرائق المفيد لا بد أن يخضع لعدة عمليات أساسها التنسيق الداخلي بين المعاني المجردة المتزاحمة التي تؤديها فتتوالى الألفاظ نطقاً وتناسق دلالة، وتتلاقى معنى، ومن ثمة فالفصاحة لا تظهر في الكلمة المفردة المنفصلة عن النظم. لأنها لو كانت كذلك لتساوى المتلقون في العلم بفصاحة اللفظ الفصيح، فقد يلاقي اللفظ عينه الاستحسان من شخص، ويلاقي الاستهجان من شخص آخر. فاللفظ إن اعترف له ببعض المزية في حصول البلاغة لا يمكن أن يكون معتمد الحكم عليها.

هـ- إن البلاغة و الفصاحة و البيان و البراعة هي أن يؤتى بالمعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أحص به وأكشف عنه، وأتم وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية.

وبعد فإن عبد القاهر الجرجاني يعد بحق واضع أسس البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها، والذي على نهجه سار رجال البلاغة من بعده، وأتموا البنيان الذي رسم حدوده ومعاله وأرسى قواعده وأركانها.

وإني في خاتمة هذا البحث المتواضع لأرفع يدي إلى الله داعياً مستغفراً: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢٨٦﴾ 1.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	السورة	الصفحة
12/11	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾	البقرة	74
185	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾	البقرة	05
221	وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمَنَّ ۚ وَلَا أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو	البقرة	54

61	البقرة	إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ^ط وَيُبَيِّنُ ^ط آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣١﴾ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ^ج وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ^ج لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ^ج لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ^ج وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ^ط فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ^ط وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴿٢٣٤﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ^ط وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^ج لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا	233
57	البقرة	﴿٢٣٦﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ^ط وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾	263
143	البقرة	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^ج لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا	286

		اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخِذْنَا اِنْ نَسِينَا اَوْ اَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ اَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾	
32	النساء	اُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّٰهُ مَا فِي قُلُوْبِهِمْ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِيْ اَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيْغًا ﴿١٢٣﴾	63
62	النساء	لَٰكِنَ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا اَنْزَلَ اِلَيْكَ ۚ اَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾	166
04	المائدة	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيْ اَيْْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْاَيْْمَانَ ۖ فَكَفِّرُوْهُ ۖ اِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِيْنَ مِنْ اَوْسَطِ مَا تُطْعَمُوْنَ اَهْلِيْكُمْ اَوْ كِسْوَتُهُمْ اَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ اَيَّامٍ ۚ ذٰلِكَ كَفْرَةُ اَيْْمَانِكُمْ اِذَا	89

		حَلَفْتُمْ^ج وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ^ج كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ^ج آيَاتِهِ^ج لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾	
78	المائدة	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ^ج أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ^ج وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا^ط مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي^ط كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ^ج وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾	117
89	الأنعام	قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ^ط قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ^ط أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ^ط وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾	14
95	الأنعام	وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ^ج فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ^ج بِآيَةٍ^ج وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى^ج فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٥﴾	35
78	الأنعام	﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ^ج وَالْمَوْتَى^ج يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾	36

89	الأنعام	قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾	40
07	الأنفال	وَإِذَا تُلِيْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾	31
08	التوبة	وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾	127
44	هود	أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾	13
83	هود	قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكْثَمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾	28

22	يوسف	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ أَنفُسَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾	32
53	يوسف	﴿٥٣﴾ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾	71
76	يوسف	فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۚ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾	55
35	الرعد	﴿٣٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾	58
10	إبراهيم	﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ۖ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن	72

		تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ	
73	إبراهيم	قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	11
61	إبراهيم	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَ	35
32	النحل	وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	07
82	الإسراء	أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا	40
13	الإسراء	قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا	88

		الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾	
76	الكهف	وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾	18
03	الكهف	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾	109
110	مریم	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾	04
06	مریم	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾	97
06	الأنبياء	بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾	05

71	الحج	يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ^ج إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾	01
62	المؤمنون	﴿٦٢﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾	36
55	النمل	أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ^ط أَلَيْسَ ^ج مَعَ اللَّهِ ^ج بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾	61
44	النمل	﴿٦٤﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٥﴾	82
94	القصص	وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ^ط قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ^ط وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾	24/23

34	وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون ﴿٣٤﴾	36
36	فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾	17
17	يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾	27
27	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحَارٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَتُ اللَّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾	03
03	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾	
36	القصص	
06	القصص	
71	لقمان	
04	لقمان	
54	فاطر	

73	فاطر	وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ^ج إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾	22
86	فاطر	وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ^ر كَذَلِكَ ^ق إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ^ق إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾	28
16	الزمر	اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ^ج ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ^ع مَن يَشَاءُ ^ج وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾	23
07	فصلت	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٣٦﴾	26
07	الزخرف	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾	31

75	الزخرف	أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾	40
06	الزخرف	وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾	58
57	محمد	طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾	21
33	القمر	حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾	05
138	المنافقون	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَخَةٌ مُحْسَبُونَ كُلٌّ صِيحَةٌ عَلَيْهِمْ ﴿٣﴾ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤَفَّكَونَ ﴿٤﴾	04
61	الطلاق	لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾	07

19	الحاقة	لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾	37
06	المدثر	فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾	24
123	القيامة	بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾	15/14
123	القيامة	لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴿١٧﴾ وَقُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٢٠﴾	17/16 19/18
03	القيامة	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾	18/17
123	القيامة	كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾	20
74	النازعات	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّن تَخْشَعَهَا ﴿٤٥﴾	45
56	المطففين	وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾	01

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1— إبراهيم مصطفى " إحياء النحو " القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1959م .
- 2— أبو تمام "الديوان" تقديم وشرح: الدكتور محي الدين صبحي، المجلد الأول، المجلد الثاني، بيروت، دار صادر ، الطبعة الأولى، 1997م.
- 3— أبو ذؤيب الهذلي "الديون" تحقيق: أنطونيوس بطرس، الطبعة الأولى، 2003م.
- 4— أبو سعيد، السيرافي "شرح كتاب سيبويه" تحقيق: أحمد حسن مهدي علي، المجلد الأول بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، 2008م.
- 5— أبو هلال العسكري "الصناعتين" (الكتابة والشعر)، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، بيروت، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، 1981م.
- 6— ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد السلام "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، 1990م، الجزء الثاني.
- 7— ابن الأثير " النهاية في غريب الحديث والأثر " دار الكتاب العربي، الجزء الأول.
- 8— أحمد إبراهيم، طه "تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري" بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، 1985م.
- 9— أحمد بدوي، أحمد " عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية " المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الطبعة الثانية .
- 10— أحمد بدوي، أحمد " من بلاغة القرآن " نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع.

- 11- أحمد أمين " ضحى الإسلام " بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة ، 1973م الجزء الثاني.
- 12- إسماعيل شلبي " أبو علي الفارسي " لبنان، بيروت، 1962م.
- 13- إسماعيل، عز الدين "الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة" القاهرة مصر، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ، 1968م.
- 14- الأشعري، أبو الحسن "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" عني بتصحيحه: هلموت دريتر، دار النشر، فراتر شتايز بقسبادن، الطبعة الثالثة، 1980م، الجزء الأول.
- 15- الأعشى "الديوان " بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، 2003م.
- 16- الألوسي، أبو الفضل بيروت شهاب الدين السيد محمد البغدادي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لبنان، دار التراث العربي، الجزء الأول.
- 17- آل يسين، محمد حسين "الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري" بيروت ، منشورات مكتبة الحياة .
- 18- امرؤ القيس "الديوان" بيروت لبنان، دار صادر.
- 19- ابن الأنباري "نزهة الألباء" تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، الطبعة الثانية، 1970م.
- 20- أوس بن حجر "الديوان" تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت لبنان، دار صادر.
- 21- الباقلائي، أبو بكر محمد الطيب "إعجاز القرآن" تحقيق: أحمد صقر، مصر، دار المعارف ، الطبعة الثالثة، 1971م .

- 22— الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب "تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة" تحقيق: أحمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2005م.
- 23— البحتري "الديوان" المجلد الأول والمجلد الثاني، بيروت لبنان، دار صادر.
- 24— البرقوقي، عبد الرحمان "شرح ديوان المتنبي" مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز الرياض الطبعة الأولى، 2002م، الجزء الأول، والجزء الثاني.
- 25— بشار بن برد "الديوان" قرأه وقدم له: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 2000م.
- 26— صالح، بلعيد "التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني" الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م.
- 27— صبيح التميمي "هداية السالك إلى ألفية بن مالك" قسنطينة، الجزائر، دار البعث، 1990م، الجزء الثاني.
- 28— الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر "البيان والتبيين" تحقيق وشرح الدكتور: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجليل، ج1، ج2، ج4.
- 29— الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر "الحيوان" تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجليل 1996م، ج1، ج3، ج5.
- 30— الجرجاني، عبد القاهر "أسرار البلاغة" تعليق: محمد محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني الطبعة الأولى، 1991م.
- 31— الجرجاني، عبد القاهر "دلائل الإعجاز" اعتناء: علي محمد زينو، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2005م.

- 32— الجرجاني، عبد القاهر " الرسالة الشافية" (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف ، الطبعة الثانية 1968م.
- 33— ابن جني، أبو الفتح عثمان " الخصائص " تحقيق: محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي، ج1، ج2.
- 34— الجوهري "تاج اللغة وصحاح العربية" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، 1982م.
- 35— حازم القرطاجني "منهج البلغاء وسراج الأدباء" تحقيق: محمد الحبيب بن الجوجة ، تونس 1966م.
- 36— حسّان بن ثابت "الديوان" بيروت لبنان، دار صادر.
- 37— حسّان، تمام "اللغة العربية معناها ومبناها" القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، 2004م.
- 38— الخطابي " بيان إعجاز القرآن "ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف .
- 39— الخفاجي، ابن سنان "سر الفصاحة" شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، طبع محمد علي صبيح .
- 40— ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد "المقدمة" بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.
- 41— ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " تحقيق: الدكتور إحسان عباس بيروت لبنان، 1972م، الجزء الأول.
- 42— خليل، أحمد "المدخل إلى دراسة البلاغة العربية" بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1968م.
- 43— الحسناء "الديوان " شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية .

- 44— دراز، محمد عبد الله "النبا العظيم" نظرات جديدة في القرآن، الكويت، دار القلم الطبعة الرابعة، 1977م.
- 45— دك الباب، جعفر "الموجز في شرح دلائل الإعجاز" دمشق، مطبعة الأهالي 1980م.
- 46— دهمان، أحمد علي "الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا" دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولى 1986م، الجزء الأول.
- 47— دوسوسير، فردينان "دروس في الألسنية العامة" تعريب: صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجيبة، تونس، الدار العربية للكتاب، 1985م.
- 48— دي، بور "تاريخ الفلسفة في الإسلام" ترجمة وتعريب: مصطفى بدر، مصر، مطبعة السعادة.
- 49— الرازي، فخر الدين محمد بن عمر "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" تحقيق: أحمد حجازي السقا، بيروت للمكتب الثقافي، دار الجيل، الطبعة الأولى 1992م.
- 50— ابن رشيق القيرواني "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" تحقيق: الدكتور محمد قرقزان بيروت لبنان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1988م، الجزء الأول.
- 51— الرماني، "النكت في إعجاز القرآن" ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، بمصر.
- 52— الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي "طبقات النحويين واللغويين" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، طبعة 1973م.
- 53— الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي "تاج العروس من جواهر القاموس" تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطرح.
- 54— الزرقاني، محمد عبد العظيم "مناهل العرفان في علوم القرآن" مصر، نشر وطبع الحلبي، الطبعة الثانية 1963م، الجزء الأول.

- 55— زغلول سلام، محمد "أثر القرآن في تطور النقد" مصر، دار المعارف، الطبعة الأولى 1982م.
- 56— زغلول سلام، محمد " تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري " القاهرة دار المعارف .
- 57— زكريا، ميشال "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)" بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 1983م.
- 58— الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر " أساس البلاغة " قدم له وشكله وشرح غريبه وعلق على حواشيه الدكتور: محمد أحمد قاسم صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ، 2003م.
- 59— الزوزني، الحسين بن أحمد "شرح المعلقات السبع" بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى 2005م.
- 60— ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي "الأصول في النحو" تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1999م، الجزء الأول.
- 61— السري الرفاء "الديوان " تقديم وشرح: كرم البستاني، مراجعة: ناهد جعفر، بيروت لبنان، دار صادر، الطبعة الأولى، 1996م.
- 62— ابن سلام الجمحي " طبقات فحول الشعراء "تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف 1974م.
- 63— سلوم، تامر "نظرية اللغة والجمال في النقد العربي " سورية، اللاذقية، دار الجوار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1983م.
- 64— سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر " الكتاب " تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، بيروت، دار الجيل ، الطبعة الأولى 1991م، الجزء الأول.

- 65— السيد، عبد الرحمن " المدرسة البصرية النحوية نشأتها وتطورها " القاهرة، دار المعارف 1968م.
- 66— السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر " الإتقان في علوم القرآن " تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثالثة 1985م، الجزء الأول .
- 67 — السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر "الاقتراح في أصول النحو" المكتبة التوفيقية، 2003م.
- 68— السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" المجلد الأول، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية.
- 69— السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر " المزهر في علوم اللغة وأنواعها " ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، دار الدعوة، 1998م، الجزء الثاني.
- 70— شامية، أحمد " خصائص العربية وإعجاز القرآن في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية " الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995م.
- 71— الصالح، صبحي "مباحث في علوم القرآن" بيروت لبنان، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة عشر ، يناير 1982م.
- 72— صمود، حمادي "التفكير البلاغي عند العرب" أسسه وتطوره إلى القرن السادس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، 1981م.
- 73— ضيف، شوقي " البلاغة تطور وتاريخ " مصر، دار المعارف، الطبعة الحادية عشر.
- 74— ضيف، شوقي "تاريخ الأدب العربي" القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة.
- 75 — ضيف، شوقي " المدارس النحوية" القاهرة، 1976م.
- 76— ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي " عيار الشعر " تحقيق: الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1956م.

- 77- طنطاوي، محمد " نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة " القاهرة ،دار المنار 1991م.
- 78- طه، الراوي "نظرات في اللغة والنحو" لبنان، بيروت، 1962م.
- 79- عبادة، محمد إبراهيم " الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية) " الاسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.
- 80- عباس، حسن " النحو الوافي " القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.
- 81- عباس، محمد "الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني" بيروت، لبنان دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى 1999م.
- 82- ابن عبد الله، شعيب أحمد " بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية "دروس ودراسات، ابن خلدون للنشر والتوزيع، 2004 م .
- 83- ابن عبد ربه، أبو عمر محمد الأندلسي "العقد الفريد" شرح وضبط: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأنباري، القاهرة، الطبعة الثانية ، 1952م، الجزء الثالث .
- 84- عبد الصمد، محمد جمعة "من قضايا النقد الأدبي" مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى 1987م.
- 85- عتيق، عبد العزيز "تاريخ البلاغة العربية" بيروت لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 86- عتيق، عبد العزيز " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الرابعة، 1986م.
- 87- عتيق، عبد العزيز "علم المعاني" القاهرة مصر، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 2006م.
- 88- عرفة، عبد العزيز معطي " قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية " بيروت عالم الكتب، الطبعة الأولى ، 1985م.
- 89- عرفة، عبد العزيز معطي "من بلاغة النظم العربي " عالم الكتب، الطبعة الثانية 1984م.

- 90— العشماوي، محمد زكي " قضايا النقد الأدبي والبلاغة " الإسكندرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1968م.
- 91— العلوي، يحيى بن حمزة بن إبراهيم اليميني "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" تدقيق: جماعة من العلماء، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية، 1980م، الجزء الثالث.
- 92— عمار، أحمد سيد محمد "نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم" بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى، 1998م.
- 93— العمري، أحمد جمال " المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني "نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، القاهرة، مكتبة الخانجي للنشر، 1990م.
- 94— عنتر بن شداد "الديوان" تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، دراسة علمية مخففة على ست نسخ مخطوطة، الرياض السعودية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1996م.
- 95— الغلاييني، مصطفى "جامع الدروس العربية" القاهرة، دار الحديث، 2005م، الجزء الأول.
- 96— فيود، بسيوني عبد الفتاح " دراسات بلاغية" القاهرة مصر، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى 1989م.
- 97— القاضي عبد الجبار بن أحمد "المغني في أبواب التوحيد والعدل" تحقيق: أمين الخولي، الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة الطبعة الأولى، 1960م، الجزء السادس عشر.
- 98— ابن قتيبة، عبد الله "تأويل مشكل القرآن " تحقيق السيد: أحمد صقر، القاهرة، مكتبة دار التراث، 2006م.
- 99— ابن قتيبة " عيون الأخبار " ، القاهرة، دار الكتاب العربي 1963م، الجزء الخامس.

- 100— ابن قتيبة، أبو مسلم عبد الله بن مسلم "الشعر والشعراء" قدم له الشيخ: حسن تميم، راجعه وأعدّ فهرسه: الشيخ محمد عبد المنعم العربان، بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة الخامسة 1994م.
- 101— القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب "جمهرة أشعار العرب" بيروت لبنان دار المسيرة، 1978 م.
- 102— القفطي، علي بن يوسف "إنباه الرواة على أنباه النحاة" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة، دار الكتب، 1955م، الجزء الثاني.
- 103— كارل، بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" القاهرة، 1961م، الجزء الثاني.
- 104— كثير عزة "الديوان" تحقيق: إحسان عباس، بيروت لبنان، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1971م.
- 105— كريم، فون "الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية" تعريب: مصطفى بدر دار الفكر العربي مصر.
- 106— لبيد بن ربيعة "الديوان" بيروت لبنان، دار صادر.
- 107— محمد، أمير و جنيدي بلال "معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها" بيروت دار العودة ، الطبعة الأولى.
- 108— محمود، زكي نجيب "المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري" لبنان، بيروت، مطبعة دار الشروق.
- 109— المخزومي، مهدي "الدرس النحوي في بغداد" بيروت، دار الرائد العربي، 1986م.
- 110— المخزومي، مهدي "المدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو" بيروت، دار الرائد العربي ، الطبعة الثالثة، 1986م.

- 111— مرتاض، عبد الجليل "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب" بيروت لبنان، مؤسسة الأشرف، الطبعة الأولى، 1988م .
- 112— مصطفى أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار " المعجم الوسيط " دار الدعوة، 1989م، الجزء الأول.
- 113— ابن المقفع، عبد الله "الأدب الصغير والكبير" بيروت، دار صادر.
- 114— مكرم، عبد العال سالم "القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية " مصر، دار المعارف، 1978م.
- 115— الملاحوش، عمر " تطور دراسات إعجاز القرآن " بغداد، مطبعة الأمة ، 1972م.
- 116— ابن منظور "لسان العرب" المجلد الثاني، المجلد السابع ، المجلد الثامن ، المجلد الثاني عشر ، بيروت، دار صادر، الطبعة الرابعة عشر، 2004م.
- 117— ابن النديم "الفهرست" تحقيق ونشر: شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع ، 1991م.
- 118— النمر بن تولب الكعبي "الديوان" جمع وشرح وتحقيق: الدكتور محمد نبيل طريفي، بيروت لبنان، دار صادر ، الطبعة الأولى، 2000م.
- 119— ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين "شرح قطر الندى وبل الصدى" تحقيق وشرح: الدكتور محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، دار الفكر.
- 120— ابن هشام الأنصاري، جمال الدين "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" المجلد الثاني، تحقيق: د/صلاح عبد العزيز على السيد، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ، 2004م.

- 121— هلال، محمد غنيمي " النقد الأدبي الحديث " القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة 1971م.
- 122— ابن يعيش، موفق الدين يعيش " شرح المفصل " لبنان بيروت ، دار صادر ، (دت)، الجزء الأول.

فهرس الموضوعات

الموضوع.....الصفحة

المقدمة أ - و

المدخل : في الإعجاز القرآني 11_1

لفظ قرآن في عرف اللغة.....01

القرآن الكريم في الاصطلاح03

الإعجاز القرآني05

معنى الصرف لغة واصطلاحا08

الفصل الأول : الدرس النحوي والبلاغي عند العرب48_12

1. الدرس النحوي عند العرب:30-12

— حالة العربية قبل وضع النحو12

— القرآن الكريم والدراسات اللغوية.....16

— نشأة النحو العربي19

— الأصالة والتأثر في الدرس اللغوي21

— تقعيد النحو23

— المدارس النحوية24

أ . مدرسة البصرة25

ب . مدرسة الكوفة.....26

ج . مدرسة بغداد.....28

2. الدرس البلاغي عند العرب :31-48

— مفهوم البلاغة31

— بين الفصاحة والبلاغة36

— عوامل نشأة البلاغة40

أ . الشعر.....40

ب . القرآن الكريم.....43

ج . تقعيد اللغة.....46

الفصل الثاني : الدرس النحوي عند عبد القاهر الجرجاني49_96

1. تشكيل الجملة في اللغة العربية49

— حدود النحو وتعريفه49

— الإسناد في اللغة العربية50

— الإسناد لغة50

— الإسناد اصطلاحاً51

أ . جملة المبتدأ والخبر52

أولاً: المسند إليه (المبتدأ)54

57.....	ثانياً: المسند (الخبر)
59.....	ب . جملة الفعل والفاعل
59.....	أولاً : المسند (الفعل)
59.....	● أحكام الفعل الماضي
59.....	● أحكام الفعل المضارع
61.....	● أحكام الأمر
62.....	ثانياً: المسند إليه (الفاعل)
62.....	● أحكام الفاعل
64.....	2. التشكيل الأساسي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني
64.....	— نبذة عن حياة عبد القاهر الجرجاني
65.....	— النحو عند عبد القاهر الجرجاني
67.....	— الجملة عند عبد القاهر الجرجاني :
67.....	أولاً: جملة المبتدأ والخبر
68.....	● الإثبات
72.....	● النفي
74.....	● الاستفهام
76.....	ثانياً : جملة الفعل والفاعل
76.....	● الإثبات
79.....	● النفي

81.....	• الاستفهام
84.....	3. التشكيل الفرعي للجملة عند عبد القاهر الجرجاني
84.....	• التقديم والتأخير
90.....	• الحذف
141_97.....	الفصل الثالث : الدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني
97.....	1. قضية اللفظ والمعنى قبل عبد القاهر الجرجاني
97.....	أولاً: الجاحظ
99.....	ثانياً : ابن قتيبة
102.....	ثالثاً: ابن طباطبا
102.....	رابعاً : أبو هلال العسكري
105.....	خامساً : ابن رشيق القيرواني
107.....	2. رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار اللفظ
112.....	3. رد عبد القاهر الجرجاني على أنصار المعنى
115.....	4. النظم في اللغة والاصطلاح
118.....	5. الجذور التاريخية لنظرية النظم

128.....	6. النظم عند عبد القاهر الجرجاني
133.....	7. أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني
133.....	أ- النظم
133.....	ب- الترتيب
136.....	ت- الموقع
137.....	ث- التعليق
139.....	ج- الصياغة
143_142.....	الخاتمة
158_146.....	فهرس الآيات القرآنية
170_159.....	قائمة المصادر والمراجع
175_171.....	فهرس الموضوعات

1. اللغة الإنجليزية:

Abstract:

Violated Abdulkahir Jorjani sunan former is no separation between word and meaning of the onheiry that the relationship between the dialectic inextricable .Approved the that supported of the systems and the idea of systems he has is the sum of araihallgoip and rhetoric. where he refused to be tempted with the look of the grammarians's wrongabout that the interested in the building,and neglect the meaning. the rules as has no longerlimited to the expression, but has become a measure of guidance to the ingenuity ,and a means to photography and drafing.

And there is owner of directories to aevsal between grammar and rhetoric, it makes as in the service of rhetoric and beyondthe limits of expression and the end of words, to fly in the meaning and pentrate the secrets of different contexts sincerely as forme the contrôl of the tendancy of form that got the outs strssing the important alozivipllgp contributor to the emergence of az rhetorical .

Keys words: Jorjani _ Miracles _ Grammare _ Rhetoric _ words _ meaning _ Systems

2. اللغة الفرنسية:

Résumé:

Violé Abdulkahir Jorjani sunan ancien n'y a pas de séparation entre le not et le sens de l'onheiry que la relation entre la dialectique inextricable .Approuvé le que les partisans des systèmes et l'idée de systèmes qu'il a est la somme des araihallgoipet la rhétorique . ou est-il refusé d'être tenté par le look de la grammairiens tort sur ce point intéressés dans le bâtiment ,et de négliger le sens. Les règles que a ne se limite plus à l'expression, mais est devenue une mesure d'orientation pour l'ingéniosité,et un moyen de la photographie et de rédaction.

Et il est le propriétaires à aevsal entre la grammiare et la rhétorique, il fait comme dans le service de la rhétorique, et au-delà des limites de l'expression et la fin des mots, de voler dans le sens et pénétrer les secretsde différents contextes sincèrement que du contrôle de la tendance de

la forme qui a obtenu les sorties en soulignant la contribution importante
alozivipllgp à de tant de rhétorique .

Mots clés: Jorjani _ Miracles _ Grammiare _ Rhétorique _ mot _ sens _
Systèmes

3. اللغة العربية:

الملخص:

خالف عبد القاهر الجرجاني سنان السابقين فهو لا يفصل بين اللفظ والمعنى لأنه يرى أن العلاقة بينهما علاقة جدلية لا انفصام لها. فأقر أنه من أنصار النظم وفكرة النظم عنده هي خلاصة آرائه اللغوية والبلاغية. حيث أرى أن ينساق مع نظرة النحاة الخاطئة للنحو التي تهتم بالمبنى وتهمل المعنى. فقواعد النحو لم تعد عنده مقصورة على الإعراب وإنما أصبحت مقياساً يهتدى به إلى البراعة، ووسيلة من وسائل التصوير والصياغة.

ومن ثم فصاحب الدلائل لا يفصل بين النحو والبلاغة، بل يجعل النحو في خدمة البلاغة، ويتجاوز حدود الإعراب وأواخر الكلم، ليخلق في المعنى ويسير أغوار السياقات المختلفة مخلصاً النحو من سيطرة النزعة الشكلية التي غلبت على مسأله مؤكداً على المهمة الوظيفية للغة مساهماً في نشأة النحو البلاغي.

الكلمات المفتاحية: — الجرجاني — الإعجاز — النحو — البلاغة — اللفظ — المعنى — النظم .